مجلة وادى النيل للدراسات والبحوث ـ العدد الثامن ـ أكتوبر 2015م

السلطة الدينية والسلطة السياسية عند الأب متى المسكين

د. عايدة نصيف أيوب

إن علاقة العقيدة بالسلطة في نظر الأب متى المسكين هي أولى الإشكاليات التي طرحها؛ لأنها تلك الإشكالية التي فرضت نفسها منذ أن وُجدت الأديان ووُجدت السلطة؛ ولأنها أصبحت قضية العصور الوسطى، إن لم تكن الوحيدة، حيث استعان الأب متى المسكين بالتاريخ الذي عرفه بدقة؛ ليتتبع تطور تصور الكنيسة لدورها في المجتمع وفي الدولة.

لذلك، فقد رأى الأب متى المسكين أن قضية علاقة السلطة الدينية بالسلطة السياسية قضية لا تنتهي عبر التاريخ البشري، بداية من العصور الوسطى؛ حيث نجد أن علاقة الدولة بالكنيسة علاقة اشتباك، أي علاقة اختلاط. كانت الكنيسة في الغرب هي السلطة المهيمنة على الدولة وعلى السياسة في العصور الوسطى، ومع بداية العصر الحديث والمعاصر تراجعت السلطة الدينية، وأصبح للعقل مكانته المهيمنة على كل شيء، وانفصلت السلطة الدينية عن السلطة السياسية، وأصبح لكل منهما دوره، إلا أن السلطة الدينية تتأثر أحيانًا بالظروف الخارجية سياسية كانت أو اقتصادية أو اجتماعية، ولذلك نجد أن الأب متى المسكين، في دعوته المعاصرة بين السلطتين، يدعو للفصل بينهما، مُنطلقًا من آية الكتاب المقدس «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» (متى 22: 21).

كان الأب متَّى يرى أن الكنيسة في الغرب – عبر التاريخ في عصور الهرطقات، وعلى الأخص في القرون الوسطى، قد انحرفت عن اتجاهها الروحي

حين كانت تستمد قوتها وقوة سلطانها من الملوك فكانت تفقد بذلك قوتها الروحية، وبالتالي تعجز عن أن تضبط الإيمان بالإقناع والمحبة، وتلجأ إلى الأباطرة؛ ليعلنوا منشورًا ملكيًا بالإيمان. كانت النتيجة على حد قول الأب متَّى أنه: «بقدر ما كان يُستظهر الإيمان، ويتثَّبت على أيدي الملوك بقدر ما كان يضمحل ويضعف في القلوب»[1]. «وبقدر ما كانت تتخلص من أعدائها بقوة السيف، بقدر ما كان يتسلَّط السيف عليها»[2].

ولذلك، يرفض الأب متى المسكين الفكر القسطنطيني في القرن الرابع؛ حيث إن قسطنطين الملك هو الذي قاد أول حرب صليبية في العالم، رافعًا راية الصليب؛ بسبب الرؤيا التي رآها فظنَّ أن الصليب الذي رآه والكلمة التي سمعها «بهذا تغلب» يعنى أن عليه محاربة الناس ونهب الممالك باسم الصليب. فبدلاً من أن يفهم أن بالصليب يغلب قوة الشيطان وعظمة العالم، أخذ الصليب رمزًا لمحاربة أعدائه. فكانت هذه الحرب باسم الصليب عارًا على قسطنطين وعلى أعدائه على السواء[3].

وإذا كان الحال هكذا أيام قسطنطين الملك في القرن الرابع الميلادي، فإن الأب متى المسكين يرى أنه ما يزال البعض يؤمن بالفكر القسطنطيني؛ فيتطلعون إلى أن تكون للكنيسة قوة زمنية وسلطان زمني، مؤكدًا أن اعتماد الكنيسة على القوة الزمنية يُعتبر «هجرانًا أكيدًا للمسيح... وإنكارًا للروح القدس كمصدر القوة والعزاء»[4]، متجاهلة قول الكتاب المقدَّس: «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» (متَّى 22: 21)، أي الفصل بين القوتين.

فمصدر القوة، كما يرى الأب متى المسكين، عند قيصر هو المال، وسياسة الدهاء، والقدرة على البطش؛ ومصدر القوة عند الله هو الروح القدس، والقدرة للشهادة للحق.

أن القوتين متعارضتان لا يمكن أن تجتمعا معًا، فالواحدة تلغي الأخرى، وإذا مالت الكنيسة إلى القوة الزمنية سواء في العصور الماضية أو الحالية أو الحاضرة فهي بالضرورة تفقد معونة الروح القدس؛ فلا تشهد بالحق[5].

فالأب متَّى يضع أمامنا مفهومين في العلاقة بين المادة والروح، مفهوم «القوة الزمنية» المتمثلة في السلطان على العالم المادي، ومفهوم القوة الروحية، أي قوة الروح القدس؛ حيث إن لكل منهما عالمه الخاص، العالم الأرضي والعالم السماوي، الأولى تختص بالسلطة الزمنية، والأخرى تختص بالقوة السماوية التي هي من قِبَل الله.

وفي الوقت الذي يدعو فيه الأب متى المسكين الكنيسة إلى أن تبتعد عن السلطة الزمنية، يدعوها أيضًا ألا تستهتر بقوة السلطان الزمني؛ فالموقف الأول بما أنه خروج عن اختصاصها يُعرضِّها لفقدان قوتها الروحية، فإنها في حالة استهتارها بقوة السلطان الزمني تكون قد خرجت على المنطق المسيحي وتكون قد وقعت في الدينونة. ويُعوِّل الأب متى المسكين في ذلك على الكتاب المقدس في رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية بقوله: «المقاومون (للسلطان) سيأخذون لنفسهم دينونة» (رو 13: 2) [6].

فالأب متى المسكين يرى أن الاستهتار بالسلطان الزمني يُعتبر تشجيعًا للشر والأشرار، كما أن تشجيع الرعية على الاستهتار بالسلطان الزمني بحجة أن الكرامة والخضوع لله فقط، أي للكنيسة، خطر بعيد المدى. ومثل هذا التعليم المخالف للكتاب المقدَّس يسيء إلى الله وإلى المسيحية؛ إذ بذلك يزرعون في قلوب المؤمنين أن الله عدو لقيصر، وتظهر المسيحية بصورة غير صحيحة على أنها عدوة للدولة والوطنية، وهذا افتراء وجهل وبالتالي يكون الدين عثرة في تقدُّم الوطن والإنسانية؛ لأن ذلك الاتجاه، في رأي الأب متى المسكين، يُنشئ التحيز والانقسام، ويزيد من التعصب، بل وينتج عنه أيضًا عقدة الاضطهاد عند

الأقليات، فيصبحون مركز ثقل في الدولة يُعيق تقدمها. ويصف الأب متى المسكين هذه الروح بأنها غريبة عن المسيح، وناتجة عن الجهل، وهذه الروح كانت أحد الأسباب المباشرة لانفجار الثورة الشيوعية في روسيا[7].

ويقرر أيضًا أن الكتاب المقدس لا يترك الكنيسة حرة أن تسلك كما يشاء رجالها؛ إذ أن منهج العلاقات بين الكنيسة والدولة واضح، يقول: «فمنهج العلاقات بين الكنيسة والدولة واضح لا لَبْسَ فيه ولا إبهام، وليس عذر لإنسان إن أخطأ فيها، كائنًا مَنْ كان، أو إن هو سلك بخلافهما»[8]. ويُعوِّل الأب متَّى فيما سبق على آيات من الكتاب المقدس مؤيدة لذلك مثل (لو 20: 25) «أعطوا إذًا ما لقيصر لقيصر وما لله لله»، و(رو 13: 1) «السلاطين الكائنة هي مرتبة من الله» و(رو13: 1) «لتخضع كل نفس للسلاطين» و(13: 2) «المقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة».

الكنيسة والوطن

يقول الأب متى المسكين: «الوطن السمائي لا يلغي وجود الأوطان، والسعي نحو الوطن السمائي لا يشمل معنى إنكار الأوطان، والحنين الذي ينمو في الإنسان جسديًا نحو وطنه الأرضي لا يعطل الحنين الذي ينمو في الإنسان روحيًا نحو وطنه الأعلى»[9].

نوعان من الوطن، عند الأب متى المسكين، أولهما الوطن السمائي، وثانيهما الوطن الأرضي، والأول لا يزول، ولا يفنى، وبه الحياة الأبدية. ويحدد لنا الأب متى مفهوم "الحياة الأبدية"، إذ قال: «لمُ تدْعَ الحياة الأبدية بالوطن الأفضل للإنسان إلا على أساس أن الحياة الأرضية فاضلة أيضًا»؛ ويعلل ذلك بقوله: «إن الأفضل لا يمكن أن يكون أفضل إلا بسبب وجود ما هو فاضل»[10].

هناك علاقة بين الوطن السمائي والوطن الأرضي علاقة تكامل، إذ يرى الأب متى أنه جيد للإنسان أن يكون سليمًا مُعافىَ في كل مشاعره الجسدية الخاصة بالوطن الأرضي ليؤهَّل أن يكون أيضًا إنسانًا روحيًا سويًّا ممُهِّدًا للوطن السمائي.

وتكمن دعوة الأب متَّى الإحيائية في المسيحية في التأكيد على أهمية الجانب المادي في الإنسان بارتباطه بالعالم أو الوطن الأرضي، وأيضًا أهمية الجانب الروحي المرتبط بالوطن السمائي؛ حيث إن كليهما يكمل الآخر. وفي هذه المسألة يختلف مع الاتجاه الأُغسطيني الذي يفضل الوطن السمائي، أي مدينة الله، على الوطن الأرضي، يقول أوغسطين: «إن سعادتنا وسعادة أولادنا لا تتعلق أبدًا بتلك الثروات الفانية التي نفقدها في حياتنا أو نتخلّى عنها، ساعة الموت إلى أيدٍ مجهولة قد تكون عدوّة. الله وحده يجعلنا سعداء، الله وحده رضى الأرواح الحقيقيّ»[11].

يميز الأب متى المسكين بين العالمين أو الوطنين السمائي والأرضي، ويرفض أن يخلط بينهما، كما يرفض التقليل من شأن واحد على حساب الآخر[12].

يقول الأب متى المسكين: «الوطن الأرضي ضرورة للإنسان؛ ليكون كاملاً جسديًا، كما أن الوطن السمائي ضرورة؛ ليكون كاملاً روحيًا أيضًا... إنَّ كَبْتَ الروح الوطنية نوع من وَأْدِ الروح الإنسانية، ومحاولة توجيه الإنسان نحو وطنه السمائي على حساب احتقاره للوطن الأرضي... هو قصورٌ في فهم النفس البشرية»[13]. ويختلف هنا الأب متى المسكين اختلافًا جذريًا عن اتجاه رئيسي كان موجودًا في المسيحية ألا وهو الأوغسطينية.

فيما سبق يقرر الأب متى المسكين على أهمية كلٍّ من الجانبين الجسدي والروحي للإنسان وعدم إهمال واحد من الجانبين؛ إذ ليس هناك تعارض بينهما بل تكامل؛ لأن مصدرهما واحد هو الله، وكلاهما مرتبطان بالوطن الأرضي والوطن السمائي، وأن خدمة أحدهما لا تعطل خدمة الآخر بل تعطى حياة كاملة للإنسان.

وأكد الأب متى المسكين أنه ليس من العدل والحق أن نُنمي في الإنسان حنينه نحو الوطن السمائي فحسب بل ونحو الوطن الأرضي كذلك؛ ليكون كاملاً، وذلك لا يتعارض مع الإنجيل، بل يتوافق معه؛ حيث إن الإنسان إذا تُرك حسب طبيعته وكلما نما روحيًا، كلما انجذب نحو الحياة الأبدية، مع احتفاظه بما يربطه بالماديات من وطنه، وأهله وأصدقائه؛ فيبني علاقة ناجحة سليمة[14].

فالأب متى المسكين– فيما سبق– ينادي بالوَسَطِيَّة أو التوسط والاعتدال، فلا يتجه الفرد إلى التفريط في علاقته لا بالوطن الأرضي ولا بالوطن السمائي، كذلك لا يتجه إلى الإفراط بل التوسط والاعتدال.

ويتضح ذلك عنده عندما يرى أن خدمة الوطن الأرضي لا تعطل خدمة الوطن السمائي، وعلى هذا فإنْ جَمَع الإنسان بين الصفات اللازمة للأولى وضَّمها إلى الثانية، فيرى الإنسانية في أعلى صفاتها كيف تخدم الله، يقول الأب متى: «كذلك فالإنسان الروحي إذا خدم وطنه فإنه يتفوق تفوقًا باهرًا بلا نزاع ويكفي أن يضع القارئ الصفات الثانية على الصفات الأولى ليرى مدى القدرة الناتجة»[15].

جدد الأب متى المسكين الدعوة الدينية، ودعا إلى التجديد في الفكر العربي المسيحي، وهو بصدد قضية الجانب الروحي والجانب المادي عند الإنسان، الجانب الذي يرتبط بالوطن السمائي، والجانب الذي يرتبط بالوطن الأرضي.

فدعوته موجهة إلى تربية الشباب على أساس عدم ترجيح جانب على الآخر باستخدام النهي والتحذير.

لأن ذلك، كما يرى الأب متى المسكين، ينشي بالضرورة ضربًا من الكبت ومن المشكلات النفسية، والتي تؤثر بدورها على علاقات الإنسان بمجتمعه، ويصبح عنده نوع من الاغتراب، الذي يُشعره باليأس، ويجعله تائهًا عن الحقيقة، يقول: «ويظل يبحث عن شيء ضائع في حياته، ولكن هيهات فلن يجده، لقد وُئدت وماتت، إنها الروح الوطنية»[16].

وقد عَرَضَ الأب متى المسكين أهمية تنمية الروح الوطنية لدى الشباب عن طريق تنميته الروحية السليمة له من أجل خلق علاقات سليمة وناجحة ونافعة بوطنه وأهله وأصدقائه، يقول : «والإنسان إذا تُرِكَ لطبيعته، نجد أنه كلما نما روحيًا، قوي حنينه للحياة الأبدية مع احتفاظه بعلائقه... التي تربطه... بوطنه وأهله وأصدقائه وجميع الناس سليمة ناجحة نافعة»[17]. فالروح الوطنية، عند الأب متى المسكين، ترتفع بمستوى الأحداث إلى هدف أعلى وإلى سلوك وطني مخلص لمنفعة المجتمع.

عند الأب متى المسكين، أن ثمة رسالة خطيرة تقع على عاتق الذين يتولون تدريس الدين للشباب؛ فدورهم يكمن في توجيه ميول الشباب وأهدافهم لخدمة الوطن الأرضي، وخدمة الله أيضًا باجتهاد، مُعوّلاً على قول الرب: «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله»[18]؛ لأن أية محاولة من قِبَل الكنيسة للجمع بين ملكوت الله والسلطة الدنيوية من قبيل المطالبة بحقوق خاصة للاشتراك في الحكم، وللحصول على نفوذ وسيادة هو خروج عن هدف المسيحية، ولذا فمثل هذه المحاولة مرفوضة تمامًا؛ لأنها بمثابة تنصيب المسيح ملكًا على الأرض، يقول المسيح: «مملكتي ليست من هذا العالم» (يوحنا 18: 36) [19].

ونجد في تقسيم الأب متى المسكين للوطن السمائي والوطن الأرضي تشابهًا كبيرًا بينه وبين القديس أوغسطين؛ يقول القدِّيس أوغسطين: «أصل المدينتين وتقدُّمهما وغايتهما الحتمية إحداهما مدينة الله، والأخرى مدينة العالم»[20].

قد يكون الأب متى المسكين قد قرأ مدينة الله لأوغسطين، وربما يكون ذلك التقسيم متشابهًا مع تقسيم الأب متى المسكين الثنائي للوطن: أرضي، وسماوي، إلا أن الجديد في دعوة الأب متى المسكين هو أن الاثنين يكمل كل منهما الآخر، دون تغليب الواحد على الآخر، وذلك على العكس من القدِّيس أوغسطين. ويحدد الأب متى المسكين أن «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله»، بأن حقَّ قيصر يبدأ وينتهي عند حدود الوطن الأرضي، وحق الله يبدأ عند حدود ملكوته الأبدي في الوطن السمائي، ولا نهاية لحق الله[21].

ولقد فرَّق الأب متى المسكين بين طبيعة الوطن الأرضي والوطن السمائي بتمييزه بين طبيعة العالم وطبيعة الملكوت، ويتحدث أيضًا عن فكرة السلام الأبدي الذي يعطيه الله للإنسان ولكل الناس وهو أبدى كطبيعته. يقول الأب متَّى: «العالم، أول كل شيء، متغير متقلقل، وبالنهاية زائل، هذا هو أساس طبيعة العالم، أما طبيعة ملكوت الله فهي ليست هكذا أبدًا. فسلامها قائم دائم أبدي»[22]. ومع ذلك فلا تعارض بينهما؛ فملكوت الله يبدأ بانتهاء العالم. إذن، فلا تعارض بين حق الله وحق قيصر، وليس بينهما معادلة؛ حيث إن حق الوطن هو فرض يقوم به الإنسان على الأرض، ويؤدي كل عمله بشرف، وأدب، ومعرفة وشجاعة، وثبات.

أما حق الله، فهو حق الروح بما لها من صفات كالوداعة، والتواضع، والمحبة، والصفح، وغيرها[23]. إذن، فكما يقول الأب متَّى بوطنين: الوطن السمائي والوطن الأرضي، فعنده أيضًا حقَّان، حق يختص بالوطن الأرضي، والذي يعيش فيه الإنسان جسديًّا، وحق يختص بالوطن السمائي، والذي يعيش فيه

الإنسان روحيًا. وأن لكل جانب مهمة يقوم بها لا تعطل الجانب الآخر، بل كلاهما مكملان بعضهما لبعض. يمكن أن نُطلق على الأب متى المسكين لقب المُصلح الذي يريد تجديد فكر الإنسان بداية من الشباب، الذين هم نواة أي مجتمع، بل أساس أي مجتمع. فإذا تربى الشباب على أساس من التوازن بين الجسد والروح نتج لنا مجتمع سليم وبنَّاء.

فإذا كان الأب متى المسكين كراهب يعني بالجانب الروحي في الإنسان وببنائه بناءًا سليمًا، فإنه كمصلح مهموم بالجانب المادي، الذي يجب بدوره التكامل مع الجانب الروحي في الفرد الذي هو في آن واحد مواطن ومؤمن؛ لكي يستطيع التكيُّف مع مجتمعه، ويتفاعل فيه، وينفعل به؛ لنصل إلى مجتمع أساسه ليس فردًا واحدًا، بل مجموعة من الأفراد، كل منهم يقوم بواجبه على أكمل وجه؛ لنصل إلى مجتمع ناضج وسليم وبنَّاء.

الكنيسة وحرية المواطن المسيحي

بعد أن حدَّد الأب متى المسكين حدود الوطن الأرضي والوطن السمائي، وعلاقة الإنسان بهما، ينتقل إلى علاقة الإنسان بالكنيسة والوطن الذي يعيش فيه، وخاصة حرية المواطن بين الكنيسة والوطن.

فالأب متى المسكين في حديثه عن الكنيسة والمواطن المسيحي يرفض أن تجمع الكنيسة بين السلطتين الزمنية والسياسية، بل يرفض تدخل السياسة في الدين؛ لأن السياسة إذا تشابكت مع الدين أضعفت من قوته. ولذلك يؤكد أن «ليس للكنيسة أن تعتمد على قوة السلطان الزمني، ولا يليق لها أن تجمع بين سلطانها الروحي والسلطان الزمني»[24].

يُفرِّق الأب متى المسكين بين كلٍّ من الله والعقيدة والكنيسة، فالكنيسة عنده كما يقول: «تسأل المواطن المسيحي فيما يختص بإيمانه وعقيدته وسلوكه

الروحي»[25]، أما عن الله فقال: «الله موجود في فعل العطاء وفعل خدمة الفقير كما هو موجود في فعل المحبة تمامًا»[26]، وعنده العقيدة تختص بإيمان الإنسان بالله وممارستها وترجمتها إلى سلوك. ويرى الأب متى المسكين أن عمل الكنيسة: «هو إعداد المؤمنين لقبول الملكوت، أما عمل المؤمنين فهو الحصول على شهادة قبول في الملكوت بمقتضى عمل الإيمان في السلوك والحياة اليومية، والشهادة يعطيها الضمير أمام الله... ضمير النعمة الذي يشهد لعمل الله في حياته»[27].

وإذا كان المواطن المسيحي وتصرفاته جزءًا من السلطان الزمني فيجب ألا يقع تحت سلطان الكنيسة؛ لأن الكنيسة تسأل المواطن المسيحي فيما يختص بإيمانه، وعقيدته، وسلوكه الروحي. وطبقًا لذلك يحدد الأب متى المسكين مفهوم «حرية المواطن المسيحي»، بقوله: «إن حرية المواطن المسيحي مكفولة في التصرف، وإبداء الرأي، والاشتراك في كل ما يخص وطنه، في كل الأمور الاقتصادية، والاجتماعية والسياسية على السواء، دون الرجوع إلى الكنيسة، ودون أن تكون الكنيسة مسئولة عن تصرفه، طالما هو يعبد الله بخوف حسب ناموسه المسيحي»[28].

يؤكد الأب متى – فيما سبق – على حرية المواطن المسيحي، وإن كانت عنده حرية مشروطة. فعلى الفرد الاشتراك في كل ما ينفع وطنه طالما يخاف الله، وذلك عكس ما حدث في العصور الوسطى. وليس للكنيسة سيطرة كاملة على المواطن المسيحي، أي سيطرة دينية سياسية في آن واحد.

فالكنيسة في الغرب كانت تُشرف على الدولة من أجل توجيهها إلى الحياة الآخرة، والدولة تساعد الكنيسة على تحقيق أغراضها، فالهيمنة كانت لصالح الكنيسة، وكان هناك خلط بين السلطة السياسية والسلطة الدينية[29].

وذلك الأمر – أي خلط السياسة بالدين – قد نجد بعضًا منه الآن، ليس على المستوى المسيحي فقط، بل على المستوى الإسلامي أيضًا، والذي يؤدي بدوره إلى خلط المفاهيم، واندثار المعنى الحقيقي لها. وفي مقابل ذلك، المفروض على الكنيسة أن تترك للمواطن المسيحي الحرية الكاملة في قيامه بواجباته الوطنية؛ وذلك حتى لا تكون الكنيسة مسئولة أمام الدولة عن تقصير أبنائها في أداء الواجب الوطني، وتحث الكنيسة أيضًا أبناءها على أن يخضعوا دائمًا للرئاسات والسلاطين؛ حتى تكون الكنيسة نفسها قد أدت واجبها، فالكنيسة مسئولة فقط أمام الله عن تصرفها الروحي، ولا تكون مسئولة أمام السلطة الزمنية عن أي تصرف زمني[30].

ويؤكد المسكين على أن وظيفة المسيحي وكل ما يتعلق به من تصرفات خاصة وعامة على السواء إنما تنبع من كيانه كمواطن لا من كيان الكنيسة؛ فالدولة هي المسئول الأول عن ثقافة المواطن وتربيته المدرسية وهي المسئولة عن وطنية المسيحي لا الكنيسة، إذ يقول: «ومن ثم فعلى الكنيسة أن تدَع المواطن المسيحي يتحرك بحرية في كل الاتجاهات كما يشاء، وكما تمليه عليه تربيته ونشأته وثقافته، ويتحمل هو تبعة تحركه، وتظل الكنيسة فوق كل هذه التحركات جميعًا تعمل في اختصاصها لخلاص نفسه وإهداء أقدامه في طريق ملكوت الله»[31]. وبذلك يُبيِّن أن الكنيسة عنده لخدمة العقيدة وليس لخدمة السلطة، أو لمساندتها، أو لمشاركتها. وينتقل الأب متَّى من بحثه عن علاقة الكنيسة بالأفراد، وما لهم من حقوق، وما عليهم من واجبات تجاه الكنيسة والدولة، إلى تحديد مهام رجل الدين تجاه الكنيسة وتجاه الدولة التي يعيش فيها كمواطن وكجزء لا يتجزأ منها؛ حيث يدعو إلى الوَسَطية والاعتدال في مسئولية رجل الدين، بل ويحدد مفهوم رجل الدين، وينقيه من جميع الشوائب التي أضيفت عليه سواء في العصور

الوسطى أو في العصر الحديث والمعاصر من تداخل السياسة مع الدين فيقول: «رجل الدين يجب أن يمثل فكر المواطن الحر، ويمثل فكر الكنيسة أيضًا»[32].

مما لا شك فيه أن رجل الدين مسئول أمام الدولة عن تصرفاته وكلامه، وذلك فيما يخص الأمور الزمنية من اجتماعية، أو اقتصادية، وسياسية؛ لأنه هو والكنيسة مسئولان أمام الدولة، ولذا يحدد الأب متى المسكين مهام الكنيسة التي تمليها على رجل الدين بشأن ألا يتكلم إلا فيما يختص بالشئون الكنسية وفي نطاق المسيحية، ومن ثّم لا تقف الكنيسة مسئولة أمام السلطان الزمني؛ لأنها لا تُسأل قط إلا أمام المسيح روحيًّا[33]. ويتضح من ذلك اختلاف موقف الأب متى المسكين عن موقف الكنيسة في مراحل سابقة من التاريخ؛ حيث كانت الكنيسة في الغرب هي المسيطرة على الدين وعلى الأمور السياسية في الدولة؛ مما أضعف من روح المسيحية، وأصبحت القوة التي تريدها هي القوة الزمنية لا قوة الله.

ويؤكد على أن رجل الدين هو مواطن حُر، له كل حقوق المواطن، ورسامته لا تلغي شخصيته كإنسان وكمواطن، ولكن يضيف إليها صفة كنسية، بالإضافة إلى حقوق إلهية؛ فهو «سفير الكنيسة أينما حلَّ في دائرة رعايته»[34]. ولكن هذه الصفة، لا تعطيه حصانة ضد مؤاخذات الدولة؛ فهو يمَثل أمام الدولة كمواطن أولاً، وقبل كل شيء[35].

أي أنه يجب على رجل الدين معرفة ما عليه من واجبات من قِبَل الوطن، ويؤدي الحقوق الوطنية المطلوبة منه، متمثلاً بسلوك السيد المسيح حين دفع الجزية دون احتجاج[36].

وإذا كان على رجل الدين أن يؤدي ما عليه من حقوق وواجبات، فعلى الدولة أن تعطي له حقوقه كأي مواطن، بل يجب أيضًا على رجل الدين أن يعلن عن رأيه كمواطن، وإذا كانت الكنيسة تولي الكاهن على رعاية شعبه فإنه يصبح

مسئولاً عن رعيته أمام الكنيسة وليس أمام الدولة؛ فهو مسئول عن منصبه أمام الكنيسة التي أقامته في حدود اختصاصاتها المسيحية، ذلك من جهة؛ ومن جهة أخرى، كما يشير الأب متَّى، فعلى الكاهن ألا يتسلط على شعبه كحاكم، ولكن كخادم، وبخوف الله[37]، معولاً على الكتاب المقدَّس «إذا تسلط على الناس بارٌّ، يتسلط بخوف الله، وكنور الصباح إذا أشرقت الشمس» (2 صم 23: 5).

ولذا يجب على الكاهن أو الإنسان المتقدم للكهنوت أن يكون حُرًا غير مَدين لأحد، ولا تكون له علاقة عداوة بأحد، بالإضافة إلى أنه يجب أن يكون قد وفى الجميل لوطنه، ولا يكون متهربًا من واجب الدولة، ويكون بارًا وأمينًا، وإن قامت حرب فيكون هو الأمين على معنويات رعيته من بث روح الاحتمال، والشجاعة، والصبر، وتفقُّد الأرامل والأيتام؛ لتكون خدمة الكاهن نافعة للدولة، ليس في أيام السلم فقط بل في أيام الحرب أيضًا[38].

ركز، إذن، الأب متى المسكين على أهمية رجل الدين، وعلى مهامه التي يجب أن يقوم بها، بحيث لا يتدخل في علاقته مع رعيته من خلال الكنيسة في اتجاه سياسي، أو اقتصادي، أو غيره من الاتجاهات في علاقته بالدولة، وخاصة الاتجاه السياسي. وهنا وفي طيات كلماته وأفكاره يدعو إلى الفصل بين السياسة والدين؛ فلكل منهما مجال، ولكل منهما اتجاه، ومهمة الكاهن أو رجل الدين محصورة في رعاية شئون كنيسته بشعبها، وخاصة الشئون الروحية، والإرشادات الأخلاقية السليمة، التي تتفق مع روح الدين.

فالأب متى يعي تمامًا، طبقًا لنصوص الكتاب المقدَّس، ما هي حدود رجل الدين وواجباته وحقوقه تجاه شعبه الكنسي، وتجاه مجتمعه، وتجاه الحكومة. فدعوته العصرية بفصل السياسة عن الدين دعوة مُلحة، وخاصة بعد أن اختلطت في العصر المعاصر الأمور السياسية بالأمور الدينية؛ وكان نتيجة ذلك ظهور

تيارات واتجاهات مختلفة ومنشقة عن روح المسيحية؛ وتدعو في الوقت نفسه باسم المسيح!

ولا يكتفي بتحديد مهام رجل الدين بما عليه من واجبات، وما له من حقوق، بل يتطرق إلى ما هو أخص وأهم للمساهمة في إقامة مجتمع سليم، من خلال توضيحه لمسئولية المواطن المسيحي تجاه أنظمة الحكم، منطلقًا من روح المسيحية. ولنقف وقفة عند هذه القضية ألا وهي:

المواطن المسيحي وأنظمة الحكم

يبدأ الأب متى المسكين بالبحث في هذه القضية بقوله: «على المواطن المسيحي أن يدرك أنه مسئول أمام ضميره وأمام التاريخ عن أنظمة الحكم في الدولة»[39]. يضعنا من خلال كلماته هذه أمام إشكالية علاقة الفرد المسيحي بوطنه، ويضعنا أمام عدة مفاهيم: التاريخ، والمواطن، والمسئولية، والضمير. ولم يقدم صفة «المسيحي» على صفة «المواطن»، ولكنه قدَّم المواطنة على الدين؛ ليوضح أهمية انخراط المسيحي في مجتمعه، ثمَّ يقرر أن المواطن المسيحي مسئول أمام الضمير والتاريخ، وكأنما أراد أن يُحمَّل الفرد مسئولية كبيرة، هذه المسئولية أمام عنصرين مهمين، هما الضمير والتاريخ.

يقول الأب متَّى: «ليس من المفروض أن يكون الإنسان المسيحي دائمًا في وضع المُعلم أو القائد؛ لكي يؤثر في المجتمع ويقوده. فقد يكفي أن يكون المسيحي منفتحًا للمجتمع منفعلاً به، على أساس روحي، بمعني أن يكون إيجابيًا... أن ينتفع من الظروف المعاكسة، ويتفاهم مع الأشخاص السلبيين فهذا التفاعل الإيجابي... يؤثر في المجتمع بالقدوة ربما أكثر مما يقدمه بالتعليم والقيادة المباشرة»[40].

ويقصد بالتفاعل الإيجابي قدرته المستمرة لتحويل خبرته مع الآخرين، وخبرة الآخرين معه إلى مفهوم روحي؛ أي على حد قوله، «أن يكون المسيحي ذا قلب مفتوح لله يستمع إليه عن طريق الخبرات اليومية، فينتقل الإلهام والتوجيه من صميم الحوادث العادية وغير العادية»[41]. وهذا التحول يسميه الأب متى المسكين التحول من الحياة حسب الجسد إلى الحياة حسب الروح، وإذا لم يملك الإنسان القدرة على ذلك يستحيل عليه أن ينقل شيئًا روحيًا للآخرين، وتلك القدرة يسميها الأب متى النعمة التي هي أعمق أسرار الحياة[42].

ويرى أن أي فساد ينشأ في المجتمع تقع آثاره على المسيحي بالدرجة الأولى؛ لأن طبيعة المسيحي الحقيقية الروحية تجعله يتهرب من تحمل آثار ذلك النكوص، حتى لو لم يكن مشتركًا في أحداثها. مؤكدًا أن الكنيسة هنا لا تسانده إلا بالصلاة في جميع الأمور الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ومن ثم على المسيحي متابعة أنظمة الحكم متابعة واعية على أساس عقلاني؛ لفهم الأوضاع الاجتماعية، والمقارنة ببلاد أخرى؛ حتى يستطيع، أن «يُخرج حكمًا سليمًا ناضجًا غير متحيز، دون أن يقحم الدين أو الكنيسة أو مصالحه الشخصية في حكمه، وبذلك يضمن المواطن المسيحي أنه لن ينساق في تيارات خطرة»[43].

ويُعوِّل الأب متى المسكين على الكتاب المقدس بقوله «احترسوا من أن تنقادوا بضلال الأردياء» (2 بط 3: 17). فيما سبق – دعوة إلى ضرورة وعي الفرد بظروف مجتمعه، مع الأخذ في الاعتبار عدم خلط الاتجاه الديني بالاتجاه السياسي حتى ينخرط في مجتمعه.

بالإضافة إلى ما سبق، رفض مفهوم العزلة الذي يؤدي إلى اضطراب الفرد حين ينعزل سياسيًا، فلا يتأثر برَكْب الحياة الذي يمر به الوطن[44]. «المسيحي لا يستطيع أن يؤدي رسالته في المجتمع إن هو نسى ما هو العالم اليوم»[45]. وهنا يجب على المسيحي أن يكون مُدرِكًا لطبيعة اللحظة التاريخية، بألا يكون باغضًا

للعلم وللثقافة، وألا يتضايق من الفلسفة، ولا يستهين بالفنون والأدب وكافة الثقافات؛ لأن التجربة الروحية، تسمو بكافة المعارف لتبلغ بها أقصى ما يمكن من الخير[46].

ما عرضنا هو دعوة واضحة من الأب متَّى لمشاركة الفرد في الحياة السياسية، ولا يكون ذلك من أجل الفرد فقط، ولكن من أجل المجتمع ككل.

ذهب الأب متَّى إلى أن الكنيسة ليس لها اتجاه خاص في أنظمة الحكم، ولا تساند وضعًا اجتماعيًّا أو سياسيًّا، ولكن في الوقت نفسه تساند المواطن المسيحي، وتعطي له عطية عظيمة، ألا وهي «الحرية الكاملة»؛ كي يتصرف المواطن كيفما يشاء في أمور الدنيا حسب تقاليد المجتمع وأعرافه، وبما يتوافق مع الأخلاق السليمة. فالمواطن يُسأل أمام الدولة عن تصرفاته، وإذا أخطأ فلن يصيب الكنيسة شرًا، وإنما ستحمل عاره كمواطن مسيحي وابن لها. يقول الأب متى المسكين: «ضروري أن يكون المواطن المسيحي شجاعًا وأمينًا للحق... وأينما وُجد... واعيًا لكل جديد، يقرأ ويتابع الحوادث الجارية في وطنه»[47]. وبهذا يكون الأب متى قد وضع يده على أساس نجاح أي نظام سياسي أو اجتماعي في أي وطن.

ويؤكد على أن الدولة هي المسئولة عن ثقافة المواطن، وتربيته المدرسية، وبينما الكنيسة مسئولة عن تربيته الروحية، فإن «الدولة في النهاية هي المسئولة عن وطنية المواطن المسيحي لا الكنيسة أو رجال الدين»[48].

ميَّز الأب متى المسكين بين العقيدة والسياسة لا لصالح السياسة، كما حدث في الغرب، إنما لصالح الدين حتى يجُنِّب البشر ما حدث لأمثالهم في الغرب، وما يعانون منه حتى الآن؛ نتيجة لإعلاء شأن المادة على الروح.

وتقع على عاتق الكنيسة مسئولية ترك المواطن المسيحي يتحرك كيفما يشاء، فهي معاوِنة له بالصلاة فقط.

جدَّد الأب متى علاقة المواطن المسيحي ومسئوليته تجاه أنظمة الحكم في سياق علاقة الكنيسة بالدولة، ونجد دعوة صريحة عصرية للفصل بين الاتجاه الكنسي والاتجاه السياسي، بالرغم أنهما في مجتمع واحد؛ لأن الفصل بينهما يعمل على تنمية وعي الفرد تنمية موضوعية بعيدًا عن أية مؤثرات دينية؛ ليكون عضوًا فعالاً في وطنه، وذلك بخلاف ما هو قائم من حركة تسييس الدين، وما كان قائمًا منذ القرن الخامس إلى الخامس عشر في العصور الوسطى في الغرب، ومن سيطرة الكنيسة على أنظمة الحكم، وما تلا ذلك من نتائج أخرى ليس على الفرد بل على المجتمع ككل. فالأب متى المسكين من خلال دعوته هذه يقودنا إلى مفهوم "المواطن الحر" الإيجابي الفعال في ممارسة واجباته وحقوقه، دون التقيد بالكنيسة؛ فهي مسئولة فقط عن نموه الروحي السليم.

وذلك بعكس العصور المظلمة التي مرت على الكنيسة في الغرب؛ بسبب تطرف رؤسائها، فكان الفرد هو الضحية بين الدين والمجتمع، حيث نما بداخله صراع بين المؤسسة الدينية والمدنية.

علاقة الأخلاق بالسياسة

إن الأخلاق عند الأب متى المسكين هي «مجموعة التصرفات والعادات التي تختص بعلاقات الأفراد معًا وارتباطهم وتعاونهم؛ لتسهيل معيشتهم، وحفظ كيان المجتمع وارتقائه»[49]. وأي توجيه مضاد لذلك المفهوم يعدُّ مفسدًا للأخلاق؛ فالأخلاق تقع بين طرفين الفرد والمجتمع، ومدى التفاعل بينهما. ويرى الأب متى المسكين أن أخلاق الأفراد توصف بأنها طيبة أو فاسدة تبعًا لنوع تأثيرها في المجتمع[50].

انطلق أذن في معالجاته لكل من الأخلاق والسياسة من موقف مبدئي وهو أن الأخلاق هي أساس السياسة، ولذا نراه يعنى بعلاقة الأخلاق بالنظام الاشتراكي، وأرى البدء بمفهوم الاشتراكية عنده.

مفهوم الاشتراكية

ثمة عدة رؤى للاشتراكية؛ فهناك الاشتراكية (الفابية)، واشتراكية ماركس وأنجلز، والاشتراكية الديمقراطية الموجودة في أوروبا حاليًا، والاشتراكية الأفريقية، والاشتراكية العربية. ولعل أقرب مفهوم عام للاشتراكية هو أنها تهدف إلى مشاركة الجميع – جميع فئات الشعب – في الإنتاج والدخل القومي وبناء الدولة وإذابة الطبقات الاجتماعية والمساواة بين الجميع ماديًّا ومعنويًا[51].

وعند الأب متى المسكين تأويلٌ مسيحيٌ للاشتراكية؛ وعنده أن المسيحية ليس لها نظامٌ بعينه للحكم وإن كانت تنادى بالحرية والحكم الأفضل، يقول: «أفضل نظام للحكم وأفضل نظام للحياة هو ما تبغيه المسيحية، وتعمل على تحقيقه». ويؤكد أن المجتمع الإنساني في تطور وتغير مستمر يرتقي بنظام الحكم والحياة، أما القول عن نظام ما إنه مسيحي دون نظام آخر يخُرجنا عن جادة المسيحية؛ «إن المسيحية لا تفضل حكمًا على الآخر، ولكن تزكي دائمًا الانتقال من نظام حكم إلى نظام حكم أفضل، وتعمل دائمًا باجتهاد لهذا الانتقال»[52]. وقد استخدم المسكين تعبير (التزكية) ليشير إلى التغيير وتجاوز العقبات؛ فالمسيحية تعمل باجتهاد للتغيير إلى الأفضل متجاوزة العقبات في سبيل ذلك، ومن ثم فإن موقف المسيحية موقف دقيق للغاية تجاه المجتمع وتجاه علاقة الكنيسة بالعالم؛ فللكنيسة رسالة ألا وهي السعي إلى التغيير للأفضل.

وضح الأب متى أهداف الله من المسيحية، وهو ما عبَّرت عنه كلمات السيد المسيح «جئت ليكون لهم حياة ويكون لهم أفضل» (يو 10: 10). حيث إن

صورة المجتمع الكامل والحياة الأفضل تتحقق من خلال المعاملات الفردية بواسطة الإنجيل، ولا يعني هذا استخدامه مباشرة كأداة يرتقي بها في معاملات الإنسان مع العالم؛ ذلك لأن الإنجيل لم يوضع ليوصل الإنسان إلى مستويات اجتماعية أفضل، بل ليصلح صلة الإنسان بالله أولاً، مما ينعكس بالإيجاب على المجتمع[53]. إذ يقول: «يختص الإنجيل المعاملات الفردية بمنهج دقيق متسع، يحتار الإنسان في طوله وعرضه وعمقه وسموه، ... فالإنجيل يعسر استخدامه كأداة نرتقي بها في معاملاتنا مع العالم من درجة إلى درجة. والسر في ذلك أن الإنجيل لم يوضع ليوصل الإنسان إلى مستويات اجتماعية أفضل أو ليربط البشر معًا على أساس تطبيق وصاياه تطبيقًا منطقيًا متساويًا، بل هو يعبرِّ عن صلة الإنسان بالله أولاً، ثم يعكس هذه الصلة على المجتمع»[54].

إن تحقُّق وحدة الناس وتآلفهم واشتراكهم في التعب والراحة، هدف أساسي من أعظم أهداف المسيحية التي تعمل على تحقيقه بشتى الوسائل[55]. يقول الأب متى: «وحدة الناس وتآلفهم واشتراكهم في التعب والراحة هدف أساسي من أعظم أهداف المسيحية الذي تعمل على تحقيقه بشتى وسائل البذل والتضحية»[56].

وقد طرح الأب متى قضية الاشتراكية والتجربة التاريخية المصرية التي تحققت منذ الستينيات، والتي انطلقت من أن الاشتراكية تهيئ حكمًا أفضل مما عاشه الإنسان تحت عهود الملكية الإقطاعية والرأسمالية وأيام السخرة، مؤكدًا أن الاشتراكية قد حققت ارتقاءً في كل شيء وخاصة بالنسبة للإنسان؛ فلم يكن الإنسان في مصر في تلك الحقبة الاشتراكية هو الفرد إنما كان المجتمع[57].

ولذلك يصف الاشتراكية التي كانت في مصر بأنها كانت عبارة عن «تجربة عظمى لميلاد مفهوم جديد للإنسان»؛ فالحكومة كانت تتجه بشعبها إلى مجتمع حر ناضج، وصورة إنسان قادر على أن يخوض سباق الدنيا ليفوز بحياة حرة شريفة. إلا أن الأب متى المسكين يرى أن ميلاد أي شعب لا يحدث دون آلام

وأنين، ويستشهد بقول بولس الرسول حينما يصف الذين يشتهون أن يتغيروا إلى الحالة الروحانية دون أن يخلعوا الصورة المادية: «نئن مثقلين إذ لسنا نريد أن نخلعها، بل أن نلبس فوقها « (2كو 5: 4)[58].

هنا يمثِّل الأب متى المسكين «الشخصية المصرية الوطنية» التي تنفعل وتنشغل بأمور الوطن؛ حيث يقوم بتعزية الذين أصابتهم القوانين الاشتراكية بالخسارة المادية. فيؤكد أن الأنين لن يكون مجديًا أو نافعًا لهم، بل على العكس سيزيدهم «ثقلاً على ثقل»، «ويُفقدهم القدرة على التجديد»[59]. ويعطي الأب متَّى لهؤلاء إرشادًا ينفعهم فيقول: «فعليهم أن يخلعوا نهائيًا صورة الإنسان الأرستقراطي التي عاشوها، ويلبسوا في قلوبهم صورة إنسان المجتمع الاشتراكي الجديد؛ ليعيشوا أعضاء عاملين متجاوبين فيه»[60].

وهنا يحبذ الاشتراكية؛ لأنها تدعو إلى الإيجابية للأغلبية وتحقق روح المسيحية أيضًا، ويرفض الأرستقراطية التي هي بمثابة انعزال طبقة معينة عن جميع أفراد الشعب، وعدم تفاعلهم في مجتمعهم.

ويشير الأب متى المسكين إلى العلاقة القائمة أو التي تربط بين مفهوم المشاركة والسعادة، حيث يرى أنه قد انتهى عهد السعادة المؤسسة على المال، وانتهي السلطان المؤسس على الثروة. ويرى أن الاشتراكية تؤسس سعادة جديدة في نوعها، هي «سعادة المشاركة»، المشاركة في المال، والعمل، وفي كل شيء من أحزان وآلام ومتاعب وأفراح. وأكد أن هذه السعادة (سعادة التعاون) تعمل على رفع قيمة الإنسان في مصر ذلك من ناحية، ومن ناحية أخرى أن تقبل روح الاشتراكية والرضا بها يجعل المؤمن بها صاحب الجاه والعزاء بين قومه[61].

وأتوقف هنا عند مفاهيم المشاركة والوحدة المسيحية والاشتراكية عند الأب متى المسكين، أما المشاركة عنده فتقوم على المشاركة في كل شيء، أي في

المال والعمل وفي الأحزان والألم والسعادة، أما مفهوم الوحدة المسيحية فهي تلك الوحدة التي ستتحقق من خلال جامعية الكنيسة التي هي جامعية المسيح، وهي بمثابة فاعلية طبيعة المسيح القادرة على تحقيق الوحدة المسيحية التي تعمل دائمًا لتجاوز كل الانقسامات وكل الفوارق والخلافات ليصبح الجميع جسدًا واحدًا، أما الاشتراكية عنده فهي التي تؤسس سعادة (المشاركة) ومن ثم سعادة التعاون التي تتجاوز كل عزلة وكل انقسام وضد كل تفرقة.

وعن الوحدة المسيحية يقول الأب متى: «الوحدة هي الجامعية في الكنيسة وهي جامعية المسيح، هي فاعلية المسيح القادرة أن تجمع الإنسان بالله والإنسان بالإنسان بآن واحد... أي كَوْن طبيعة الكنيسة (جامعة) يعنى أنها ضد كل تفرقة، كل انقسام، كل عزلة... بل كل ما يدعو إليه... المسيح لا يجمع شتات الألوان والأجناس والعناصر في فكر واحد أو إيمان واحد فحسب بل وفي جسد واحد أيضًا... لذلك أصبحت الكنيسة التي هي جسده السري... هي ملتقى البشرية كلها والملتقى الوحيد لكل الشعوب والأمم والأجناس والألسنة والألوان حيث فيها تذوب كل الفوارق والخلافات فيصبح الجميع جسدًا واحدًا طاهرًا، روحًا واحدًا، متحابة»[62].

فكما أن الوحدة المسيحية تدعو إلى تجاوز كل تكتل وكل انقسام يعوق تكميل الوحدة؛ لتحقق الروح والرسالة المسيحية التي تعبر عن المشاعر الإيمانية الإنسانية؛ هكذا أيضًا الاشتراكية التي تحقق سعادة المشاركة ورفع قيمة كل إنسان؛ ومن ثمَّ رفض كل طبقية وانعزالية وإقامة نوع من العدالة.

والاشتراكية عنده ترفع من قيمة الإنسان الذي صودرت ثرواته حين يتقبل ذلك، وأيضًا من قيمة الإنسان الآخر الذي ينال جزءًا من ثروات الآخرين؛ لتقوم حياة المشاركة وتتحقق السعادة. وربما يكون هدف الأب متى المسكين هو الإشارة

إلى أن مفهوم الاشتراكية يعمل على تحرير الإنسان من جميع أشكال الاستغلال، وإعادة البعث للقيم وعلى رأسها قيمة الإنسان في المجتمع المصري.

كان الأب متى المسكين يريد إصلاح المجتمع المصري كله بالاشتراكية، ذلك النظام السياسي الذي لا يتعارض مع مفاهيم المسيحية إذ كان متأصلاً في المسيحية منذ عهد الرسل؛ أي الفترة الأولى من المسيحية. فمشروعه مشروع إصلاحي للمواطن المصري سواء كان مسلمًا أو مسيحيًا إذ أن «الكنيسة موجودة في العالم لتغيير العالم»، والاشتراكية كمفهوم اجتماعي – سياسي هو من أجل الإنسان المسلم والمسيحي، من أجل ميلاد جديد للإنسان المصري، فقد قام الأب متى بتوجيه خطابه للإنسان المصري، وبالتوفيق بين مفهوم الاشتراكية كمفهوم سياسي وبين المسيحية، يقول: «إن الاشتراكية تجربة عظمى لميلاد مفهوم جديد للإنسان في جمهوريتنا الحديثة... فيجب أن نسير مع الاشتراكية، ونعطى أكثر مما نأخذ! ونعطى بسرور لنصيب السعادة، ونجعل الحياة سهلة أمام الآخرين... وإلا فلن نسعد ولن نعيش، لأن الحياة عطاء والسعادة عمل «مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ»[63].

فالأب متى المسكين لا يوجه خطابه فقط للمسيحيين بل وللمسلمين وخاصة الذين تذمروا أثناء تطبيق الاشتراكية التي جوهرها العطاء؛ لتتحقق المساواة في العمل والمشاركة في كل شيء، إن تحقيق العدالة الاجتماعية لا يختلف عليه الدين المسيحي أو الإسلامي. ولذلك فهو يدعو الكل في مصر إلى التفاعل مع هذا النظام الإشتراكي، يقول: «إننا نرى أن الحكومة دائبة على تعديل مناهجها ومراجعة قوانينها وتطويرها إلى أن يتحقق العدل بصورة عامة، وترفرف الرفاهية أخيرًا على كل الشعب كما وعد الرئيس بذلك»[64].

ويقول أيضًا «يلزم أن نحيا في حاضر خبرتنا الاشتراكية بوعي، ونتمشى مع كل قانون عن إيمان واعتناق، حتى نستطيع أن نكون نحن أنفسنا جزءًا فاعلاً في

مستقبل اشتراكيتنا»[65]، فقد رأى أن رسالته كمفكر وكرجل دين مصري مسيحي التوفيق بين المسيحية والاشتراكية، وهذا موقف سياسي رائع من قِبَل الأب متى المسكين يدل على رغبته الحقيقية في تغيرُّ المجتمع إلى الأفضل وانشغاله الدائم بالإنسان وقضاياه.

فهو كمواطن ومفكر مصري حاول إرشاد أقرانه المواطنين للسلوك السليم تجاه النظام السياسي، كما أنه بذل جهدًا تجاه المسيحيين لإرشادهم لأفضل موقف من النظام الاشتراكي مُعَوِّلاً على المسيحية، فهو لم يكن مبررًا للنظام السياسي بل كان مقتنعًا به.

ويشير الأب متَّى إلى من ظل يتحسر على غنى ماضيه، ويتمسك بأشلاء ثروته حيث يخفيها هنا وهناك، فيدعوه إلى كلمات الإنجيل المقدَّس؛ ليخفف من حسرتهم «هلم الآن أيها الأغنياء اِبكوا مولولين على شقاوتكم القادمة، غناكم قد تهرأ، وثيابكم قد أكلها العث، ذهبكم وفضتكم قد صدئا، وصدأهما يكون شهادة عليكم، ويأكل لحومكم كنار. قد كنزتم في الأيام الأخيرة. هوذا أجرة الفعلة الذين حصدوا حقولكم المبخوسة منكم تصرخ، وصياح الحصادين قد دخل إلى أذني رب الجنود، قد ترفهتم على الأرض وتنعمتم»[66].

يقول الأب متَّى بعد أن يُعوِّل على الكتاب المقدس: «هذا هو المال سر تعاسة الإنسان، طالما يزيد عن حاجته، أما السعادة الحقة فلن تشترك في قلوبنا حتى نُقيم وصية الإنجيل «من له ثوبان فلْيعطِ مَنْ ليس له، ومن له طعام فليفعل هكذا» (لو 3: 11)[67].

فيما سبق تأكيد على أن الاشتراكية تحقق السعادة بما أن الحياة عطاء، يقول الكتاب المقدس «مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ» (أعمال الرسل20: 35)، ويسير الإنسان مع الاشتراكية ويعطي أكثر مما يأخذ، حيث يعطي بسرور

ليُصيب السعادة، وبذلك يجعل الحياة سهلة أمام الآخرين «وإلا فلن نسعد ولن نعيش؛ لأن الحياة عطاء والسعادة عمل»[68]. هنا الأب متى المسكين يعطى لمصطلحَي الحياة والسعادة دلالات جديدة مختلفة عن الدلالات السابقة.

والخِلقَة الجديدة للإنسان في الإيمان المسيحي وبحسب الإنجيل تجعله إنسانًا جديدًا بين الجميع، ومن ثمَّ صورة روحية للمسيح، يملأها البساطة والفرح والحكمة والإلهام والنعمة والعطاء والوعي المفتوح[69]. وهذه الخلقة الجديدة تجعله مع الاشتراكية التي هي روح المسيحية. لقد نصَّرَ الأب متى المسكين الاشتراكية كما سعت الدولة وقتذاك لأسلمة أو لتعريب الاشتراكية.

وينبه الأب متى المسكين إلى أن مفهوم الاشتراكية قد أُسس في المسيحية منذ عهد الرسل، إذ يقول: «رُبَّ قوم غضبوا من القوانين الاشتراكية الجديدة فعَزَّ عليهم السلام وأصابتهم مرارة اليأس»، وذلك حينما يرى أن هناك قومًا قد غضبوا من القوانين الاشتراكية الجديدة فأصابتهم حياة اليأس، ويقول لهم الأب متى: «هوِّنوا على أنفسكم، فليس ممكنًا قط أن يولد الإنسان إلا بعد أن يورِّث أمه الضعف والمرض والقلق، ونحن من آلامكم نصوغ صورة المجتمع الجديد، رضيتم أو لم ترضوا، ولكن ليتكم ترضون[70].

وهنا توظيف مفهوم الألم المسيحي منطلقًا من آلام المسيح التي تعرَّض لها وهو غير خاطئ وغير مستحق للآلام، من أجل الإنسان ومن أجل حياة أفضل، فقد تحمل الآلام حتى الموت بتجسده واحتماله الآلام والصلب والموت كي يُصلح الشر في الناس. هكذا يجب على الإنسان المسيحي أن يتحمل الألم في مقابل التغيير إلى الأفضل، فقد وظَّف الأب متى المسكين مفهوم الألم المسيحي؛ لأن من الآلام يُصنع المجتمع الجديد، يقول الأب متى المسكين: «المسيح وهو يتألم... رفع قيمة الألم من العقاب على الخطية، إلى وسيلة لإظهار حب وبرٍّ...

وحوَّل طبيعة الألم في نظرنا من قسوة نواميس الطبيعة مع ضعفنا البشرى، إلى إثبات طاعة ومحبة وانتقال إلى حياة أفضل»[71].

ويوجه الأب متى المسكين مفهوم آلام المسيح إلى الإنسان بقوله: «إن قبولنا للألم برضا قد صار هو الحل العجيب الذي يوصلنا إلى الشعور بالسعادة والتلذذ بمعنى جديد من معاني الحب... فالذي يستطيع أن يحتمل الألم بشكر وفرح... يكون في الواقع قد انتصر على العالم كله»[72].

ويدعو الأب متَّى هؤلاء ليستندوا إلى التجربة الاشتراكية المسيحية كما جاءت في الإنجيل في (سفر الأعمال)، عندما أسس نظام الشركة بين الرسل (تلاميذ السيد المسيح) يقول الإنجيل: «لم يكن أحد يقول إن شيئًا من أمواله له، بل كان عندهم كل شيء مشتركًا، إذًا لم يكن أحد محتاجًا؛ لأن كل الذين كانوا أصحاب حقول أو بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويضعونها عند أرجل الرسل، فكان يوزع على كل واحد كما يكون له احتياج» (أعمال الرسل 4: 34، 35) [73].

وليس معنى ذلك أنه لم يكن ثَمَّة متذمرون من هذه الشراكة؛ مستشهدًا من الكتاب المقدَّس. فإذا كان الرسل، كما يشرح الأب متَّى، قد وجدوا من يتذمر ضدهم من تطبيق النظام الاشتراكي، فليس من العجيب أن نجد من يعترض من الأغنياء على تطبيق الاشتراكية في مصر[74].

ناصر الأب متى المسكين الاشتراكية منطلقًا من تطبيق المسيحية في العصور الأولى من الاشتراكية، موفقًا بين المسيحية وبين تطبيق الاشتراكية تطبيقًا صحيحًا، وذلك يدل على وعيه السياسي وإخلاصه لمنفعة الكل؛ لأن إصلاح الكل يأتي بإصلاح الجزء؛ أي الأقباط. يقول الأب متى عن نفسه في مقالة بعنوان "الروح الوطنية، الحياة الرهبانية": «وأنا لما أكتب في الأمور الوطنية أكتب بروح

الأقباط وبحاسة وطنية روحية، أرتفع بمستوى الأحداث ومستوى القارئ إلى هدف أعلى وإلى سلوك وطني مُخلص لمنفعة الأمة كلها، وبالتالي الأقباط»[75]. لقد جمع بين القبطية والمواطنة المصرية في علاقة حميمة «يرتفع» بها على مستوى الأحداث إلى «سلوك وطني» يحقق مصلحة الأمة، فالأولوية إذن، في هذا الموضوع للوطن أي للأمة ولمصلحتها ثم تأتى بعد ذلك العقيدة وبالتالي «الأقباط».

ويقارن الأب متى المسكين بين حالة من القرن الأول الميلادي حين نادى التلاميذ بدعوة من المسيح بتطبيق نظام المشاركة، وحالة من القرن العشرين حين تذمر الأغنياء في ظل ذلك النظام الاشتراكي. بالإضافة إلى أنه ينبهنا إلى أن هذا النظام ليس وليد العصر الحديث أو المعاصر، بل هو قد طُبِّق في القرن الأول الميلادي على يدي المسيحية.

ولكن المسكين يستخلص ذلك النظام الاشتراكي من خلال شرحه وتعويله على الكتاب المقدَّس، وأن ذلك النظام كان اللبنة الأولى فيه منذ القرن الأول الميلادي، ومحاولة تحقيق هذا النظام في مصر أو أي مكان آخر يقابله بعض العقبات التي تفسده، من بينها الاستعجال للزمن، فإذا كان الإنسان يؤمن بالخلود فليس من العدل أن يستعجل الزمن، يقول الإنجيل: «من سخرك ميلاً واحدًا فاذهب معه اثنين» (مت 5: 41). وهناك علة أخرى تفسد المجتمع وتعطل تقدمه، وهي كثرة التطلع إلى المستقبل «لا كمن يستطلع حقائق، ولكن كمن يريد أن ينكرها، ويود لو لم تكن»[76]. فعلينا التعامل مع المستقبل من منطلق محاولة التنبؤ به للاستعداد له، لا من منطلق رفضه لأن هذا الموقف السلبي غير مُجدٍ.

ويرى الأب متى أن هناك علاقة بين الحاضر والمستقبل في معالجته لقضية الاشتراكية؛ حيث الإنسان الذي يحيا في حاضر خبرته الاشتراكية بوعي وفهم تام ويتمشى مع كل قانون عن اقتناع يستطيع أن يكون له دور هام وحيوي في

مستقبل الاشتراكية، فالذي يريد أن يتعرف على مستقبل الاشتراكية وتطورها في مصر عليه أن يقبل ما هو كائن، ومن هنا تكمن علاقة الحاضر بالمستقبل في الاشتراكية. إذ يقول: «يلزم أن نحيا في حاضر خبرتنا الاشتراكية بوعي، ونتمشى مع كل قانون عن إيمان واعتناق، حتى نستطيع أن نكون نحن أنفسنا جزءًا فاعلاً في مستقبل اشتراكيتنا... فإذا كنا جادين في التعرف على مستقبل التطور الاشتراكي في الدولة، فعلينا أن نقبل ما هو كائن منها»[77].

ويتطرق الأب متى المسكين للنزعة التشاؤمية عند المصريين ويتساءل هل هناك علاج لهذه العلة التي وُرِثت من الماضي؟ وهل يمكن السير في النور مادام موجودًا وهو وصية الإنجيل؛ حتى لا يدرك الإنسان الظلام. ويجيب الأب متَّى «إن الانشغال النظري لمستقبل الأعمال والأنظمة الاشتراكية يضعف من واقعها الحي؛ لأن مستقبل الاشتراكية لا يعتمد قط على أنظمة مرسومة أو خطة مدروسة، وإنما يعتمد على ما استوعبه الشعب فعلاً من هذه الأنظمة، لأن الاشتراكية في حد ذاتها هي تطور طبيعي لقدرة الإنسان على تحقيق العمل المشترك»[78].

وذلك المعنى يتكامل مع قوله في حديثه عن الوحدة المسيحية؛ حينما يقول: «الإنسان الجديد لا يمكن أن يعيش كجزء منفصل عن جزء، أو كمنقسم على آخر أو من مركز حقد وعداوة لجزء آخر»[79]. وهنا يؤكد تفاعل الإنسان مع أخيه الإنسان في المجتمع المُعاش وفي حياة المشاركة. ويشير الأب متى المسكين إلى أنه من المستحيل على الإنسان إذا لم يقبل خطوة ما في الحياة الاشتراكية أن ينتقل إلى ما بعدها انتقالاً يعبِّر عن وعيه وحريته؛ ولذلك فعلى الإنسان أن يقبل تجارب الماضي عن رضا تام حتى لا ينعزل عن الحاضر[80].

فهنا الأب متى المسكين يربط الماضي بكل ما ينطوي عليه من آلام ومتاعب وأفراح بالحاضر في إطار التجربة الاشتراكية؛ لكي يستطيع الإنسان أن

يتكيف مع مجتمعه عن رضا وسعادة. يقول الأب متى: «من المحتم أن نقبل تجارب الماضي كلها عن رضا؛ حتى لا ننعزل عن الحاضر»[81]، وهنا تجاوز للواقع لمستقبل أفضل، ويقول أيضًا: «يجب أن نسير مع الاشتراكية... ونعطى بسرور لنُصيب السعادة، ونجعل الحياة سهلة أمام الآخرين»[82].

ويؤكد أيضًا أن الإنسان في ظل النظام الاشتراكي يصبح في أولى خطوات الخطر حينما يسأل: (ماذا سيكون بعد هذه الأنظمة والقوانين)، فالشخص بذلك قد خطا نحو التخلف، فعلى الإنسان أن يقبل ما هو كائن، فحقيقة وسر الاشتراكية لا يعرفه أي مواطن إلا من خلال معايشة حاضرها[83]، وتقبُّل ذلك الحاضر؛ لكي يؤدي رسالته، ومن ثَمَّ يجب عليه تقبُّل هذا المجتمع، ويَكِنُّ له كل الحب، ويقبل ما فيه من تيارات مختلفة، قد لا توافق الضمير المسيحي، ويجب عليه أيضًا أن يكون منفتحًا للمجتمع منفعلاً به على أساس روحي سليم، بحيث يكون إيجابيًا لكل الظروف، متفاعلاً ومؤثرًا في المجتمع[84]. يقول الأب متى المسكين: «فلكي يؤدى المسيحي رسالته داخل المجتمع يلزمه أولاً أن يقبل هذا المجتمع بل يحبه، ويحبه بالرغم مما فيه من تيارات خطيرة وشر وفساد قد لا توافق الذوق ولا الضمير المسيحي»[85]. المهم عنده حب المجتمع، مهما كان فيه من شر وفساد، المهم الانتماء.

وينتقد تطبيق الاشتراكية في مصر والذين يتمسكون بالاشتراكية من حيث الشكل دون المضمون، وهم من أصحاب المناصب والمراكز، ويصف هؤلاء بأنهم قد تخلفوا في اللحاق بتطورها، فكلٌّ منهم يصبح ثقلاً وتمزيقًا في جسد الدولة، بل وأشد ضررًا عليها من أصحاب الإقطاع.

وهؤلاء لا يسمحون بأي تطور اجتماعي وسياسي، بل هم يطبقون النظام الرأسمالي، فيصبحون طبقة بيروقراطية تحكم باسم الطبقة العاملة، وترفع شعارات الاشتراكية، وبذلك يكون جوهر العلاقات الاقتصادية في هذه المرحلة هو جوهر

علاقات رأسمالية. فالذي حدث في مصر ربما يكون ليس نوعًا من الاشتراكية بقدر ما هو رأسمالية دولة؛ حيث تملك الدولة وسائل الإنتاج، وبالتالي خلفت طبقة بيروقراطية منتفعة من تملكها لوسائل الإنتاج، وبذلك أُغتُصِبَ مفهوم الاشتراكية باسم الشعارات. يقول الأب متى: « تُقرر الاشتراكية في إصرار أن النظام الرأسمالي والفوارق الطبيعية هما العلة الأساسية للفساد... فتقسيم المجتمع إلى طبقات يجعل كل طبقة تكافح وتناضل لتحمى كيانها... وهذا الكفاح... يهدد توازن المجتمع»[86].

ويرجع الأب متى المسكين للكتاب المقدَّس ليؤسس نقده للاشتراكية المصرية، ولمن أساءوا تطبيق اشتراكية المسيحية في أيام الرسل حينما اجتمعوا وأسسوا الحياة الاشتراكية فيما بينهم، وكان النظام المتفق عليه أن يبيع الناس حقولهم وبيوتهم وكل ما يمتلكون، ويسلموا أثمانها للرسل؛ للصرف على الجماعة ولكن حدث أن تخلل بين الجماعة شخصان كما يقول الكتاب المقدَّس: «رجل اسمه حنانيا وامرأته سفيرة باع ملكًا واختلس من الثمن، وامرأته لها خبر ذلك، وأتى بجزءٍ ووضعه عند أرجل الرسل، فقال بطرس يا حنانيا لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس وتختلس من ثمن الحقل، أليس وهو باق كان يبقى لك، ولما بِيعَ ألم يكن في سلطانك. فما بالك وضعت في قلبك هذا الأمر، أنت لم تكذب على الناس بل على الله، فلما سمع حنانيا هذا الكلام وقع ومات وصار خوف عظيم» (أع 5: 1 – 5). فإن حنانيا وامرأته قد شكلا في ذهن بطرس الرسول خطرًا على الجماعة التي تعيش بروح واحدة[87].

ويتساءل الأب متى المسكين كم من الناس أرادوا خداع الحكومة فبددوا أموالهم، ووزعوا أطيانهم، وأخفوا ودائعهم، وزوَّروا شهاداتهم، واختلسوا حقوق الدولة، ثمَّ قالوا نحن اشتراكيون وهتفوا باسم العدالة؟ لهؤلاء يقول الإنجيل: «أنتم لم تكذبوا على الناس بل على الله»[88].

آمن المسكين بالاشتراكية المسيحية حبًا للإنسان، ورغبة للارتقاء بمكانته. وقد اعتنق هذا الاتجاه؛ لأنه، كما بيّن وشرح وفسر لنا من خلال نصوص الكتاب المقدَّس، يدعو إلى المساواة بين الأفراد، وإلى تحقيق عدالة التوزيع، منطلقًا من الآية التي تقول: «من له ثوبان فليعط من ليس له، ومن له طعام فليعط هكذا « (لو 3: 11).

بعد عرضنا لمفهوم الاشتراكية، وبعد أن بيَّنا أن تطبيقها من حيث روحها لا من حيث الشكل يحقق حياة مطمئنة، ترفع من قيمة الإنسان في مجتمعه وحياته، نرى طرح السؤال الثاني: هل هناك علاقة بين مفهوم الحرية والاشتراكية عند الأب متى المسكين؟ وإذا وُجِدتْ هذه العلاقة فهل تتفق مع المفهوم المسيحي، وما موقع الديمقراطية من تلك العلاقة؟

مفهوم الحرية

يرى الأب متى المسكين أن أي حكم فاضل وسليم لا يقوم إلا على أساس من الحرية السليمة، وهذه الحرية تتحقق في الاشتراكية التعاونية الديمقراطية، وتتفق مع المفهوم المسيحي. ويُعرِّف الأب متَّى مفهوم الحرية بقوله: «إنها قدرة الإنسان على أن يفعل ما يريد، ويفكر ويقرر ما يشاء». إلا أنه يرى أن ذلك التعريف يواجه عقبات قاسية عند التطبيق؛ وذلك لأن أعمال الاغتصاب والظلم وغيرهما وأفكار الشر هي أعمال وأفكار لا يمكن أن تصدر عن إرادة حرة، بل عن إرادة غير سوية، بالإضافة إلى أن تلك الإرادة أو ذلك الإنسان يكون واقعًا تحت مؤثرات نفسية وأخلاقية مريضة يجب أن يتحرر منها؛ فيقول الأب متى: «إذا كانت الإرادة مكبلة بالمؤثرات الضارة، ومستعبدة لعادات ورذائل فكيف يقال إنها حرة»[89].

ويقول أيضًا عن الذات الحرة «والذات الحرة بالمعنى الحقيقي... لا تعمل إلا الخير لأن الخير طبيعتها الأصيلة فكل ما تفعله يكون خيرًا ولكنها لا تعمله كقانون أو إلزام ولا حتى عن اختيار أو إجبار لأن الخير فيها طبيعة فاعلة... والحرية الأصيلة لا تخطأ لأنها طبيعية... الحرية الحقيقية جوهر الذات الخيرة وبهذا الوصف تكون الحرية الحقيقية جوهر إلهي»[90].

ويشرح الأب متَّى مفهوم الحرية السليم بأنها «لا تحتمل أن يأتي الإنسان من الأعمال والأفكار ما يريد، وإنما ما هو خير وصالح»[91]. بمعنى أن الإنسان يكون حرًا حقيقة حينما يريد الخير عن رضا وفرح، ولا يريد الشر، ولا يستطيع التفكير فيه؛ لأن الشر كثيرًا ما تحركه الغرائز العمياء والانفعالات الطائشة، والإنسان وقت خضوعه لهذه الغرائز والانفعالات لا يكون مسيطرًا على إرادته تمامًا، وبذلك لا يكون الإنسان حرًا. وقد وحد الفلاسفة اليونان على هذا الأساس بين الحرية وفعل الخير من جهة، وبين الضرورة وفعل الشر. كما ربط الأب متى المسكين بين الخير والحرية، ورفض ارتباط الشر بالحرية. فالمسيحية جعلت الأب متى المسكين إيجابيًا.

وهنا أطرح السؤال الآتي: ما هو تعريف مفهوم الخير ومفهوم الشر عند الأب متى المسكين؟ يرى الأب متى المسكين أن للخير والشر تعريفات كثيرة، يكتفي هو منها بتعريف واحد؛ لأنه بصدد الحديث عن الحرية وعلاقته بالاشتراكية، حيث يقول لا نجد للخير إلا تعريفا واحدا هو «كل عمل يعود على الجماعة بالنفع العام»[92].

فيقول «الجماعة» لا «الفرد»؛ لأن العمل الذي يعود على الفرد بالنفع ليس هو النفع العام، بل هو «المحاباة»، والمحاباة ليست من الأخلاق.

أما تعريفه لمفهوم الشر في إطار الاشتراكية فهو على النقيض «هو كل عمل أو تصرف يسيء إلى الجماعة، أو يتعارض مع مصالحها»[93]. فالقوانين التي تضعها الاشتراكية والتي تحد من عمل فئات من الناس (الرأسماليين، والمُستغلين)، والتي يصدر عن ممارستها لحرياتها الخاصة إساءة لصالح العامة (الاشتراكية) هي خطوة لا تتعارض مع الحرية في حد ذاتها بل تدخل في صميم معناها. وذلك لأن هذا الإجراء يراه الأب متى المسكين يُحدُّ من اتجاه سيئ لا من اتجاه سليم.

ويشير الأب متى المسكين إلى «الحرية المطلقة» التي تُعطَى للشعب، والذي يشتمل على فئات جشعة ومستبدة كما يشتمل على فئات محتاجة؛ وذلك لأن تلك الحرية المطلقة ستصبح سلاحًا في يد القادر المستبد، أما العاجز فلن يمارسها أو يتمتع بها[94]. فيما سبق أو فيما يبدو رفض الحرية المطلقة غير الملتزمة، ودعوة إلى الحرية الملتزمة، وذلك ما دعا إليه جان بول سارتر في العصر الحديث؛ حيث إن الحرية في مفهومه حرية ملتزمة، وهي التي تؤكد الإرادة الإنسانية؛ حيث إن تلك الحرية تتضمن فعل الاختيار، الذي هو إثبات للوجود في أرض العدم. ومن ثمَّ فالحرية كما توضحها وتفهمها الفلسفة المعاصرة ليست مشكلة نظرية، بل هي مشكلة عملية أو مشكلة ممارسة[95].

والممارسة الحقة للحرية، هي رفع الفوارق الطبقية، وإعادة توزيع الثروات توزيعًا عادلاً، وإيقاظ الفكر الاشتراكي، وتأمين الشعب ضد الانتكاس، ثمَّ إطلاق الحريات إطلاقًا بلا خوف؛ لأنَّه إذا تحقق العدل نمت الحرية. وهو ما تدعو مصر إليه الآن بعد نجاح ثورة 25 يناير والتي قام بها الشعب للقضاء على الفساد وتحقيق العدالة الاجتماعية والحرية فإذا كان الأب متى المسكين قد دعا إلى ذلك المشروع في عهد جمال عبد الناصر ولم يتحقق، فأنه حان الوقت لتطبيق الحرية

والعدالة الاجتماعية بعقول مستنيرة وبقلوب شبابنا الطاهر لا بعقول السياسيين الذين يبحثون عن أنفسهم.

ويؤكد الأب متى المسكين أن الحرية في ظل النظام الاشتراكي لا تختلف إجراءاتها عن الإجراءات بصدد المال. فالصلة وطيدة بينهما؛ لأن كلاً منهما قوة خطيرة يمكن أن تهدم ويمكن أن تبني «وهي لذلك تحتاج إلى ضبط وتوزيع عادل، حتى تكفل المصلحة العامة... فلا نستطيع أن نقول إننا تحررنا إلا إذا أعدنا توزيع الحرية كما أعدنا توزيع المال، فليست غاية الاشتراكية أن تطعم الجائع، بل غايتها أن تحرر الإنسان»[96]. ويُعوِّل على الكتاب المقدس في ذلك بالآية التالية «لأنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان» (لو 4: 4).

فالأب متَّى فيما سبق يربط بين الاشتراكية وتحرُّر الإنسان؛ فلكي تطبق الاشتراكية بمفهومها السليم فلا يكفي إعادة توزيع المال على كل فئات الشعب بصورة متساوية فقط، بل يضاف إلى ذلك – بل يوازي ذلك – إعادة إتاحت الحريات بصورة سليمة، وتَحرُّر الإنسان، ورفع قيمته.

ويبرر بعض الإجراءات الاشتراكية تبريرًا مسيحيًا. ويتوقف عند محاولات الدولة لعزل الذين يُخشى من تأثيرهم الفكري أو الخلقي أو المعنوي في الشعب، حيث عزلهم عن الإدارة والسياسة والوظائف العامة. وصف الأب متَّى تلك الإجراءات بأنها تخص صميم الحرية والاشتراكية معًا. فكما أن الحرية السليمة لا تقبل ما هو شر، كذلك هي لا تقبل في مفهومها الاشتراكي من يسيء إلى المصلحة العامة[97]، مُستشهدًا من الكتاب المقدس في رسائل بولس الرسول «اعزلوا الخبيث من بينكم». الاشتراكية، إذن، مفهومها الخاص للحرية هو مفهوم سليم قادر على أن يكون له فعالية، وأن يأتي بثمار كثيرة[98].

ربط، إذن، الأب متَّى مفهوم الحرية باتجاه سياسي وهو الاشتراكية، ورأى أن تطبيقه بصورة سليمة يساوي مفهوم الحرية السليمة، حرية الفرد والجماعة في مجتمع تسوده عدالة التوزيع دون استغلال الأقلية، واحتقار الأغلبية من الشعب.

مفهوم الحرية، عند الأب متى المسكين، هو مفهوم روحي مسيحي؛ حيث يؤكد أن المسيحية لا ترى أن الذي يعمل الخير والشر هو الحر، بل الحر هو الذي يستطيع أن يعمل الخير فقط. يقول: «الحرية قرينة الحق... وليس في الحق ثنائية أو انقسام أو تعارض. أما الذي يعمل الشر فهو عبد لمؤثرات شريرة أصابت هوى في نفسه»[99].

ومفهوم الحرية الاشتراكية عنده مفهومٌ مركَّبٌ؛ فهو يشمل بالضرورة تأمين القدرة على العمل الذي يحقق النفع العام للجماعة؛ حيث إن الحرية هي واجب أكثر منها حقًا، وعلى الإنسان أن يباشر حريته الخاصة من خلال المنفعة العامة، ولذلك فالحرية الاشتراكية يجب أن تكون مرتبطة بحب الجماعة، وتتميز أيضًا بالقدرة الحرة على العطاء. هذا الحب يصفه الأب متى المسكين بالآتي «هذا الرباط بين الحرية ومحبة الجماعة هو دعامة الاشتراكية... بحيث لو فقدها مواطن مهما كانت صفته، يفقد كيانه السياسي وصلته بالشعب مهما تظاهر... فالشعب لا يحس إلا بمن يحس به»[100].

فالعلاقة وثيقة بين الحرية ومحبة الجماعة، أي بين الحرية والانتماء للجماعة، فقد حوَّل الأب متى المسكين الانتماء إلى المحبة المسيحية.

يقول الأب متَّى: «الإنسان حينما يتقبل الوجدان الاشتراكي يتنازل في الحال عن حريته كفرد منعزل؛ ليتقبل حريته كمواطن جماعي، بحيث تصبح إرادته مُعبرّة عن إرادة الدولة والجماعة»[101]. فهي ليست براجماتية ولا نفعية[102]، وإنما هي تنازل عن الوجدان.

ويؤكد الأب متى المسكين أن هذا لا يعني أن الاشتراكية تلغي الفردية أو تتعارض معها؛ لأن ذلك خطأ، فالاشتراكية تصدر عن الفردية فهي لا تخرج عن كونها الحاصل الذي أدى إليه الصراع الفردي، بالإضافة إلى أن الاشتراكية يجب أن تحتفظ بقدرتها على تقييم المثل الأعلى للفرد السليم. ويشير إلى أن التعارض الذي يبدو قائمًا بين الاشتراكية والفردية راجع إلى عدم التمييز بين وضع الشخص ووضع ممتلكاته في النظام الاشتراكي[103]. ويضيف أن الاشتراكية تؤمن بأن الإرادة الذاتية للفرد هي الدافع الأصيل لإحساسه بوجوده وعمله وسعادته وحريته. إذن، فالحرية الاشتراكية عند الأب متَّى «دعوة للخروج عن العزلة الفردية أو الطبقية أو العنصرية؛ لتقبُّل روح الجماعة بواقعها الحاضر»[104].

فإذا كان الأب متى المسكين يقدم لنا مفهوم الحرية في ظل الاشتراكية، وأسماه بالحرية الاشتراكية التي ترفع من شأن الفرد والمجتمع، وتقدِّم لنا شخصية الإنسان الحرة الواعية بالواقع دون فوارق مصطنعة، وتحقيق حريته من خلال تحمُّل المسئولية، فالسؤال الذي يتبادر إلى ذهن المؤلفة: ما مصدر هذه الحرية الواعية؟ والإجابة عن ذلك السؤال، كما يقول الأب متى المسكين: «مصدر الحرية يظل دائمًا في المعرفة المنفتحة التي تقود الإنسان في طريقه الشاق الضيق»[105]. لذلك فالاشتراكية عنده هي دعوة لنشاط ذهني متجدد، وثورة ضد التقاعد العقلي وشيخوخة التفكير، فهي تهدف دائمًا للتعرف على الحق أينما وُجد، وخاصة في نطاق حقوق الإنسان الطبيعية، متقدمة بالإنسان إلى كل ما هو أفضل، وسبيلها الوحيد الإقناع على نفس منهج المسيحية الروحية ككلمات المسيح[106] «تعرفون الحق والحق يحرركم» (يو 8: 32).

ربط الأب متى المسكين، إذن، مفهوم الحرية الاشتراكية بعدة مفاهيم؛ فربط بين الحرية والعمل، والحرية والحق، والحرية والاختيار، والحرية والمعرفة، مُعَوِّلاً ومُفسرًا ومُوظِّفًا آيات الكتاب المقدَّس ومنهج المسيحية؛ كي يوفق الإنسان بين

اتجاهه الروحي واتجاهه المادي في العالم الواقعي المليء بالمشاحنات والصراعات؛ ليحيا حياة حرة ومسئولة، تسودها روح الحب والتعاون بين الفرد والجماعة، وبين الأنا والآخر.

الديمقراطية والسلام

إذا كان الأب متى المسكين قد أقام علاقة بين الأخلاق والديمقراطية من جهة، وبين الأخلاق والديمقراطية والاشتراكية من جهة أخرى، فقد ذهب الأب متى إلى أن الديمقراطية وظيفتها الأساسية وشاغلها الشاغل هو قضية السلام. فالديمقراطية، ليست مجرد إعلان مبادئ أو مقاومة الظلم، «ولكنها تُحضِّر للسلام داخل الدولة وخارجها». أي السلام الاجتماعي، والسلام الدولي.

فالديمقراطية تُعني بمشكلة الإنسان التي هي أعمق من المطالب المادية التي تختص بالجسد؛ فقضية الإنسان ليست بما يتعلق بالمأكل والمشرب، وإنما بما هو قائم في أعماقه ووجدانه[107].

فالهدف الأساسي الأول للأب متى المسكين هو الإنسان والمجتمع، أي تجديد فكر الإنسان من خلال دراسة أعماق نفسه ووجدانه... فهو يريد أن يغير المجتمع بتغيير فكر الفرد بفضل معرفته (بجوانب شخصيته)، و(بجوانبه الداخلية)، الأمر الذي لن يتحقق إلا من خلال الديمقراطية القائمة على السلام الاجتماعي.

ولعل ذلك الرأي يتشابه مع رأي إيمانويل كانط الذي ربط الديمقراطية بالسلام في كتابه مشروع السلام الدائم[108]. فقد التزم كانط بالعقل وبالسلام وبالتقدم لخلق مذهب فلسفي كامل وشامل من أجل الإنسان[109].

والسلام الذي يُقرُّه الأب متى المسكين هو سلام النفس داخل الإنسان والسلام الخارجي، ذلك السلام الذي يرتبط بمشكلات الإنسانية الروحية وجوانبه الوجدانية،

بالإضافة إلى أن الديمقراطية المرتبطة بالسلام يجب أن تكون مسئولة عن الاهتمام بالناحية الوجدانية في الإنسان؛ حيث إن من واجبات الديمقراطية حماية حقوق الشعوب اللازمة لنموه وجدانيًا ونفسيًا وروحيًا[110].

وغاية الأب متى المسكين – فيما سبق – أن يوضح «أن وراء كل عمل مادي أو عقلي تكمن حقيقة روحية، ووراء كل إجراء أو تشريع يقوم به الإنسان دوافع وجدانية غير منظورة»[111]. ويعلن أن مجرد نجاح الأعمال المادية ليس دليلاً قويًا على نجاح البشرية، ولما كان هناك صراخ دماء الإنسان في كل مكان نتيجة لانحطاط الوعي الروحي والأخلاقي...، فالديمقراطية يجب أن تعلن واجب الشعب تلقاء نفسه، وتهتم بوضع الوعي الروحي والأخلاقي في القمة[112].

يقول الأب متى المسكين: «إذ كيف نتغافل عن صراخ دماء الإنسان الصاعد من تحت مقصلة باريس أو من خلف الستار الحديدي أو من حمامات الدم في ألمانيا، أو من ليلة الرعب في اسطنبول، أو من عرب فلسطين، وعرب الجزائر، أو من أفريقيا، وفي كل دولة ما يكفيها من العار والفضيحة... هذه الجرائم إنما تلاحق الإنسان... واللوم لا يقع على القادة بقدر ما ينصبُّ على الشعوب التي يسَّرت هذه الجرائم بانحطاط وعيها الروحي والأخلاقي، فنحن لا يمكن أن نبرِّئ شعبًا من جريمة مَلِكه... هكذا تقف الديمقراطية لتعلن واجب الشعب تلقاء نفسه وتضع له الوعي الروحي والأخلاقي في القمة»[113].

وفيما سبق يجعل للسلام الاجتماعي بُعدًا أساسيًا لقيام الديمقراطية، وإن كان بدوره يعتمد عليها كوسيلة لوقف الصراع ومشكلات الإنسان على المستوى الداخلي والخارجي، أي وقف الصراع الإنساني بما يدور داخل الفرد، وبالتالي وقف الصراع بين النظام السياسي والجماعات، وذلك يمكن أن يتحقق في رأي المؤلفة من خلال البُعد عن آليات العنف التي تمارَس ضد الإنسان في مختلف دول العالم، والقضاء

على الصراع الطبقي، والقضاء على الجمود الفكري، والانتهازية التي تسعى لتحقيق مكاسب شخصية.

وكما نادى الأب متى المسكين بالسلام، ينادي بالديمقراطية المؤسسة على إيقاظ الوعي الروحي والأخلاقي للإنسان والمجتمعات؛ الأمر الذي يتحقق من خلال التوجيه الخلقي.

بين الأخلاق والسياسة

علاقة الأخلاق بالنظام الاشتراكي

إذا كان الأب متَّى فيما سبق قد ربط الاشتراكية بالحرية وأطلق عليها اسم الحرية الاشتراكية، فقد ربط أيضًا الأخلاق بالاشتراكية؛ فيما أسماه بالأخلاق الاشتراكية، وذهب إلى أن كلا الطرفين لا يتعارض أحدهما مع الآخر. ولنقف وقفة عند هذه القضية، وهي علاقة الأخلاق بالاشتراكية.

يرى الأب متَّى أن الاشتراكية تذهب إلى أن «الأخلاق تصدر عن ظروف البيئة»، وتقول المسيحية: «إن الأخلاق تصدر عن أعماق النفس». وليس هناك تعارض بين الرأيين، بل ثمة علاقة قوية بين الأطراف الثلاثة: النفس والأخلاق والبيئة أو المجتمع. ويؤكد الأب متى المسكين؛ أن الأخلاق تصدر من أعماق النفس الإنسانية، وعن هذه تصدر الأخلاق في المجتمع، ويستشهد الأب متَّى بكلمات الإنجيل «فليضيء نوركم هكذا قدام الناس؛ ليروا أعمالكم الحسنة، فيمجدوا أباكم الذي في السموات» (متى 5: 16).

وتلك الآية تتفق مع ما يقدمه لنا الأب متى المسكين؛ حيث إن صدور الأعمال الحسنة من الإنسان في المجتمع المحيط ينتج عنه توافق بين أخلاق النفس الإنسانية الفردية وأخلاق المجتمع، ويقصد بلفظ «يمجدوا أباكم الذي في

السموات»، أي تعظيم الله؛ لأن الأعمال الحسنة التي تصدر عن الأخلاق القويمة مصدرها الله.

ولكن ما هو تعريف مفهوم الأخلاق؟ وما هو مصدر الإلزام الخلقي؟ قبل أن نعرض لهذا تجدر بنا الإشارة إلى المذاهب الفلسفية التي اهتمت بتلك القضية للمقارنة بينها وبين رأي الأب متى المسكين؟

هناك ثلاثة مذاهب في الفلسفة: المذهب العقلي، والمذهب التجريبي، والمذهب الحَدْسي، وأول من رأى أن الأخلاق مصدرها العقل هو هرقليطس الذي رأى أن «الإنسان مقياس الأشياء جميعها»، والفعل الحسي هو ما يخضع تحت سلطة العقل[114]. ثمَّ جاء سقراط وأخضع أيضًا كل شهوة لسلطة العقل، ونادى بأنه يجب على كل إنسان أن يفعل الخير ويحبه، ويبعد عن الشر[115].

أما أفلاطون فقد اهتم بالجانب العقلي عند الإنسان، وميز بينه وبين الجانب الحسي، وأن هناك صراعًا بين الجسد والنفس، وبين الشهوات والعقل؛ ولذلك فهو يسلط العقل على الشهوات[116].

أما أرسطو فقيمة الإنسان عنده لا تكون إلا بالتأمل العقلي والحكمة، وإذا كان الإنسان يتكون من جوهرين متضادين هما الجسد والنفس، وكلاهما يعمل ضد الآخر، فمن واجب العقل أن يضع القانون الأخلاقي ويسيطر على شهوات الجسد[117]. اتفق أنصار المذهب العقلي، إذن، على أن العقل هو مصدر الإلزام الخلقي.

وإذا استعرضنا المذهب التجريبي من نفعيين وتطوريين ووضعيين وحدسيين نجد أن رأيهم متعارض مع أنصار المذهب العقلي، ومع رأى الأب متى المسكين، والذي سوف تقوم المؤلفة بعرضه في الصفحات القادمة. فقد قال النفعيون إن فلسفة الأخلاق تدرس طريق الوصول إلى الخير الأقصى، وهو السعادة، والسعادة تعني اللذة. فالفلاسفة المحدثون مثل بنتام وجون ستيورات مِلْ رأوا أن السعادة هي

تحقيق اللذة لأكبر عدد ممكن من الناس، والعقل يكون خيِّرًا إذا حقق لذة، وشرًا إذا حقق ألمًا، ويطالبون الناس بطلب اللذة وتجنُّب الألم[118].

وقد ذهب الوضعيون ومنهم أوجست كونت ودوركايم إلى أن علم الأخلاق يدرس ما هو كائن من تقاليد وعادات في المجتمعات البشرية، والأخلاق عندهم ليست من صنع الفرد، بل يكتسبها الفرد من المجتمع وتخضع لقوانينه[119]. وذلك الرأي يتفق مع رأى الأب متى المسكين في جانب واحد، وهو جانب أن الأخلاق تصدر من جانب المجتمع، وأغفل كون الأخلاق مصدرها – كما يرى الأب متى المسكين – أعماق النفس الإنسانية فضلاً عن المجتمع؛ أي أنها تفاعل بين الفرد والمجتمع.

وإذا نظرنا إلى أنصار المذهب الحَدْسي نجدهم – وخاصة عند شافتسبري– يأخذون بمفهوم الحدس في الأخلاق، فيرون أن الإنسان به حاسة فطرية يولد بها، وذلك الحس الخلقي قوامه المحبة والجمال، وهو يدرك الخير والشر في الأفعال إذا كان بهيًّا، كما يدرك البصر الألوان في الأشياء[120]. إذن، فالحاسة الخلقية لا ترجع إلى العقل، بل ترجع إلى العاطفة والوجدان التي تميز بين الخير والشر دون النظر إلى نتائجه.

وهناك من رأى أن الضمير قدرة عقلية فطرية بديهية له وظيفتان التشريع والحكم، ونتيجة لوجود هذا الضمير عند الإنسان تصبح سلطة الضمير قانونًا للإنسان، وهو قوة عاقلة يوازن بين الأفعال؛ فيعقل الخير ويبعد عن الشر[121].

ففي المذاهب السابقة وجدنا أن كل مذهب يغالي من اتجاهه ويدافع عنه، أما الأب متى المسكين فهو يجمع بين بعض ما ذهب إليه المذهب الوضعي، وبعض مما يذهب إليه المذهب الحدسي، وربط ذلك بالوضع السياسي القائم في ظل مفهوم الاشتراكية.

فهو يقترب من المذهب الوضعي من حيث إن الأخلاق تصدر عن ظروف البيئة، فالفرد عنده يتعامل مع المجتمع المحيط من خلال صدور الأخلاق السليمة من أعماقه، وتنعكس تلك الأخلاق على المجتمع. إلا إنه يختلف عنه في رفضه لكون المجتمع هو الذي يفرض السلوك على الفرد. ويتفق مع المذهب الحدسي في مسألة قد تبدو قريبة، وهي مسألة أن الضمير بمثابة قانون يوجه الإنسان أخلاقيًا.

ويذهب الأب متى المسكين إلى أن ظهور الخُلق الفردي السليم في محيط بيئة سيئة الخلق أمر عسير يحتاج إلى صراع وصدام شديدين ينتهيان غالبًا بمأساة، فإذا كانت الاشتراكية من وجهة نظره ترى أن الأخلاق تصدر عن ظروف البيئة والمجتمع، فيجب عليها (الاشتراكية) تدعيم البيئة بالعدل والنظام والأخلاق؛ وبذلك فالبيئة الطيبة تدعم الأخلاق الطيبة، والبيئة الفاسدة تدعم الأخلاق الفاسدة، ويُعوِّل الأب متى المسكين على الكتاب المقدَّس «المعاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيدة» (1 كو15: 33)[122].

فالمحيط هو عامل أساسي لتقويم الأخلاق، وقول المسيحية بصدور الأخلاق عن أعماق النفس لا يتعارض مع القول بصدور الأخلاق عن المجتمع الذي يحميها ويقبلها[123]. ومصدر الأخلاق في أعماق النفس الإنسانية في المسيحية هو الله، أي إن المصدر في الخطوة الأولى ليس من داخل الإنسان بل من خارجه[124].

ويرى الأب متى المسكين أن الأخلاق الاجتماعية السوية تظل عملية شكلية إلى أن يتقبلها الإنسان، وينفخ فيها من روحه، ويؤازرها من أعماقه، منطلقًا من إيمانه وسلوكه الشخصي، حتى تصبح حقيقة حية[125].

فهناك عوامل تسبب فساد الأخلاق في المجتمع، من بينها – كما يرى الأب متَّى من خلال مفهوم الاشتراكية – وجود النظام الرأسمالي والفوارق الطبقية؛ فهما العلة الأساسية للفساد، إذ يقول : «تقسيم المجتمع إلى طبقات يجعل كل طبقة

تكافح وتناضل لتؤمِّن دَخْلَها وتحمي كيانها... ونتيجة لهذا النضال يقع حتمًا على عاتق الأخلاق فيُفسدها، ويهدد توازن المجتمع».

ويؤكد الأب متى المسكين أن المجتمع في هذه الحالة يستحيل أن تُفرض فيه أحكام خُلقية عامة؛ ويعلل ذلك بأن العامل لن يتفرغ إلى الإتقان والابتكار؛ لأنه دائمًا مشغول بالمطالبة بحقوقه. بالإضافة إلى أن عوامل الحقد تمنع من الإخلاص في العمل. وكذلك الموظف لن يراعى حقوق الأمانة والعدل والدقة؛ لشعوره بالظلم، وبأن حقوقه ضائعة.

ويشير الأب متَّى إلى أنه أينما وُجد الظلم الاقتصادي، وُجدت الرشوة وفُقدت الذمة؛ وينتهي إلى نتيجة عامة وهي أن الفوارق الطبقية الناشئة عن سوء التوزيع الاقتصادي في الوضع الرأسمالي يستحيل معها قيام أحكام خلقية عامة[126].

بحث الأب متى المسكين، إذن، في العلاقة بين الوضع الاقتصادي والأخلاق، ومدى تأثيرها في المجتمع بصورة كاملة إذ كان هدفه تحديد العلاقة السوية التي تربط بين الفرد والمجتمع. فبعد أن شرح الأب متى المسكين الأخلاق الفاسدة التي تؤدي إلى فساد المجتمع، أي الجانب السلبي من الأخلاق، اتجه لشرح الجانب الإيجابي للأخلاق السليمة في المجتمع السليم.

إن الأخلاق الاجتماعية السليمة تفترض وجود مجتمع سليم وسويٍّ من الناحية الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، والنفسية، يبذل فيه الجميع جهودًا متوازنة بما يتكافأ مع الحصول على حاجتهم، حيث يتساوى الجهد البشري المبذول في العمل مع التحصيل المالي؛ وبالتالي كما يقول الأب متى المسكين: «ينفتح أمام الإنسان ميدان الأخلاق الاجتماعية على مصراعيه»[127].

فكل القيم الخلقية من أمانة، واجتهاد، وولاء، واحتمال، وغيرها تصبح كلها دوافع سياسية للعمل، وبذلك يضع الأب متى المسكين علاقة قوية بين الأخلاق الاجتماعية والعمل وقيمته؛ حيث إن التوافق بينهما يرفع من قيمة العمل، وبالتالي

يرفع من قيمة الإنسان نفسه. ويضع الأب متى المسكين ذلك في معادلة: «فإن كان العمل = المال، يصير العمل + الأخلاق = المال + السعادة»[128].

يقول الأب متَّى: «الأخلاق في العُرف الاشتراكي هي روح العمل، ومصدر إسعاد نفسية الإنسان»[129]. وينتهي إلى أن الاشتراكية حقيقة خلقية، بما أن أصول الفضيلة نابعة في المجتمع من العمل، بحيث يُعَدُّ عجز الفرد في الحصول على عمل يحيا منه، يعدُّ في ذاته رذيلة اجتماعية؛ بما أن البطالة تؤدي إلى فساد الأخلاق.

ويقول الأب متى المسكين: «لن يتوافر الائتمان الخلقي إلا بتأمين العمال من البطالة، وتوفير العمل للجميع؛ وذلك بإعادة تنظيم وسائل الإنتاج، وتوزيعها توزيعًا عادلاً يضمن استمرار تغطية حاجة المجتمع في كل ظرف، وهذا هو أساس قيام الاشتراكية»[130].

وفَّق الأب متى المسكين إذن، بين المفاهيم المسيحية والمفاهيم الاشتراكية؛ إذ إن تطبيق الاشتراكية بصورة سليمة ينتج عنه قِيَم ترفع من قيمة الإنسان: كالحرية، والأخلاق، وقيمة العمل، والتكافؤ بين الجهد وسد حاجات الأفراد؛ وبذلك يكون هناك تفاعل بين الفرد والمجتمع، ينتج عنه مجتمع يكاد أن يكون مثاليًا.

فتطبيق هذه الصورة أو هذا النظام، كما رأى الأب متى المسكين، يقترب من المدينة الفاضلة، وربما لا يكون هناك مجتمع تتوازن فيه جميع الأمور السابقة، والمفاهيم التي سبق وتحدث عنها الأب متَّى؛ حيث إن تحقُّق جانب من الأخلاق يُفسد الآخر، وهذه هي طبيعة النفس الإنسانية، التي تجمع بين عنصري الخير والشر، فتارة يتغلب الخير على الشر، وتارة يتغلب الشر على الخير.

وتتضح مثالية ذلك الفكر الاشتراكي الذي يتحدث عنه الأب متَّى حينما أعرض لمفهوم الديمقراطية والأخلاق عنده بعد عرض التوجيه الخلقي والاشتراكية.

التوجيه الخلقي والاشتراكية

ربط الأب متى المسكين التوجيه الخلقي بالاشتراكية، وميَّز بين نوعين من الأخلاق:

أخلاق لا تؤمن بالروح، وتعتمد على النظام، وهذه الأخلاق هي الاشتراكية المادية التي تهدف إلى تحقيق الشيوعية[131]، والتي كان مصدرها التحدي الأخلاقي الموجود في تحليل ماركس للمجتمع بواسطة الإلحاد المادي الماركسي، ومن خلال نظريته المادية للتاريخ[132].

ويقرر الأب متَّى أن في الاشتراكية المادية يحيا النظام، ويحيا معه كل علم مادي، ولكن في مقابل ذلك تموت روح الإنسان[133]. وذلك ما أصاب النظام الشيوعي في روسيا، إذ يقول: «وإن هتفت روسيا بإيمان يكاد لا يقل عن إيمان المتدينين، بمستقبل باهر لمبادئها الشيوعية في خلق عالم متساوٍ لسيادة الإنسان، ورفاهية الفقراء، وتحطيم فوارق البشرية؛ فلا بد أن تصطدم بالحقيقة المُرَّة: إن العالم هو العالم، والإنسان إنسان؛ وقد وُضع الأول في الشرير، والثاني: في الخطية. ومن الشر والخطية لن ينشأ نعيم أو فردوس؛ لذلك مهما طبقوا من نظريات مبدعة، وعدالة كاملة؛ فستظل الحقيقة هي هي: أن ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان سعيدًا بل بكل كلمة حية تخرج من فم الله».

وفي مقابل تلك الاشتراكية المادية، يُبرز لنا الأب متى المسكين مفهوم الاشتراكية الروحية، والتي تكون فيها روح الإنسان بمثابة الأساس الذي يعتمد عليه النظام والقانون، وتتحد فيها الروح مع العدل؛ وبالتالي يحيا الإنسان، ويحيا كل شيء معه، الروح والعقل، والأخلاق، والنظام[134].

ويقول: «نجد أن واجب المدرسة إزاء الاشتراكية الروحية ليس هو أن تطبع الإنسان بالنظام الاشتراكي... بل هو أن تطبع الاشتراكية بروح الإنسان»[135].

أي أن غاية التعليم هي رفع قيمة الإنسان بالعلم والنظام، وليس العكس، أي رفع قيمة العلم والنظام بالإنسان. فهدف الأب متى المسكين هو الاهتمام بالإنسان. ورَفْع قيمته هو الذي سيضاف إلى النظام المادي بصفة عامة. فمحور اهتمامه دائمًا هو الإنسان والفرد، وليس النظام الذي حتمًا سيزول.

وعنده أن غاية النظام الاجتماعي الاشتراكي يجب ألا تكون تَسَيُّد النظام على الفرد، إنما جعل الفرد فوق ذاته[136]. ويقصد الأب متّى هنا بقول «الفرد»، القيمة الإنسانية الحرة.

وكان الأب متى المسكين يهدف بذلك رفع القيمة الإنسانية الحرة، قيمة الطبقة الكادحة، والتي تمثل أغلبية الشعب، حتى يكون لها تواجد واعي وحر، سواء على المستوى السياسي، أو الاجتماعي، أو في إدارة الأعمال. ويصف الأب متى المسكين ذلك بأنه عمل أخلاقي بالدرجة الأولى.

ويقرر أيضًا أن ذلك العمل الأخلاقي والذي تمتاز به الاشتراكية يكفي لأن يخلق روح المسئولية في الطبقات الراكدة في المجتمع؛ ويمنحها فرصة ومسئولية الدفاع عن نفسها مما يكشف للمجتمع عن الأخلاق الحرة الكريمة، وعن ميراث الأجيال من خلال هذه الطبقات[137].

ويؤكد الأب متى المسكين قيمة الإنسان أو الفرد حينما يقول: «يختزن الإنسان في اللاشعور كفاءات مبدعة، تنبثق حين تتهيأ الظروف، وترفع عنها رواسب الظلم... التي خلفتها هذه السنوات الطويلة من الاستعمار»[138].

ويركِّز المسكين على دور المدرسة في النظام الاجتماعي الاشتراكي؛ إذ أن المدرسة هي الأساس الأول الذي تنصهر فيه الطبقات، وتذوب فيه الفوارق؛ مما ينتج عنه جيل خال من عقدة الفقر والغنى، أي جيل ديمقراطي. وينبه على أن الديمقراطية في الاشتراكية ليست اختيارية بل إلزامية، بمعنى أن يلتزم بها الغني

والفقير. وعلى الحكومة الاشتراكية أن تنبه الشعب إلى أن يحكم نفسه، وأن يدافع عن حقوقه، بواسطة ذاته المؤسسة على علمه وثقافته وفنه[139].

يؤكد الأب متى المسكين، إذن، مفهوم الديمقراطية الإلزامية، وإنه لا ينبغي أن تكون في الاشتراكية أحزاب معارضة لها، لأن الاشتراكية هي ديمقراطية عامة وديمقراطية بالإلزام فهي ليست حزبًا، بل هي على حد قوله: «كل قوى الشعب ممثلة تمثيلاً متكافئًا في الحكم، ولهذا فإن كل من يعارض الحكم الاشتراكي يعزل نفسه عن الديمقراطية في مفهومها السياسي وفي جوهرها الكياني»[140]. مؤكدًا أن كل من يعزل أو يعارض الحكم الاشتراكي يعزل نفسه عن الشعب، بل وعن مسيرة الدولة بأكملها، من تقدم سياسي واقتصادي[141].

ويؤكد الأب متى المسكين مفهوم الإيجابية الاشتراكية، مؤكدًا أهميتها على كافة المستويات، تلك الإيجابية التي تتحقق من خلال دعامة أساسية تقوم عليها الأخلاق الاجتماعية، وهي «روح البذل الحر» غير المشروط[142]. وتبرز هذه الروح في الفرد بفضل استيعابه للمسيحية كخبرة إيمانية لا كنظرية لاهوتية، فيكون مستعدًا لأن يعطي تغييرًا وتجديدًا روحيًا للمجتمع على أساس وجود الله كفاعل حي، وعلى أساس مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالإنجيل وخبرات الآباء[143]، أي يمكن أن نعمل ما لا نريد أحيانًا، والعمل فيما لا نريد يمكن ألا تكون له منفعة على المستوى الفردي، بل له منفعة للغير وللمجتمع، وهذا ما لا يحبه الأفراد، ويكون سببًا لانعزال الأسرة عن السياسة العامة وعن التشريع، طالما لا يمس مصالح الخاصة.

ويؤكد الأب متَّى أن هذا الاتجاه، أي اللامبالاة تجاه المجتمع، لهو دليل على انعدام الاتجاه الأخلاقي في العصر الحالي، والذي سببه عدم الاهتمام بالسياسة بحجة التديُّن، أو الانشغال في أمور أخرى. وينبه الأب متَّى الفرد بأن انعزاله عن

السياسة في المفهوم الاشتراكي يعدُّ عقوبة في حد ذاته؛ ويعلل ذلك بقوله: «إن العزلة بالسياسة نوع من المعارضة»[144].

ويذهب الأب متى المسكين إلى ضرورة ممارسة التوجيه الخلقي للمواطنين وخاصة الشباب منهم من قِبَل القيادة الدينية لجعلهم ينخرطون في المجتمع، ولا ينعزلون عن السياسة في الدولة وعن اتجاهاتها الفكرية؛ حتى لا يحدث انقسام داخلي وصراع أخلاقي. وذلك يتحقق عن طريق القضاء على العصبية الضيقة، والتعصب المذهبي، والتكتل الطائفي، ومن ثَمَّ يدرك الفرد معنى الإنسانية، وينخرط في المجتمع، ويدخل في طبقة الشعور الجماعي العام الإنساني، ومن ثَمَّ تتحقق القومية اللازمة لوحدة الإنسانية.

يقول الأب متَّى: «إذ يتجمع فيها أديان ومذاهب وطوائف متعددة، ولكن يجمعهم شعور واحد بالأُلفة والمحبة والاهتمام بالمستقبل الواحد، ما يوحي إليهم الإحساس بالقومية، وهو الإحساس الذي يسبق الإحساس المطلق بالإنسانية العالمية، على أن يظل للفرد كيانه كما هو مع أسرته، وبلده، وطائفته، ومذهبه، ودينه، دون أن يكون هذا موضع تحزب، أو تعالٍ، أو تفاخر، أو تعصب»[145].

وهنا دعوة إلى خلق المشاركة الإيجابية في الشعب للقضاء على التكتل والتعصب، ومن ثمَّ الدخول في أولى مراحل القومية والوحدة الإنسانية، والتي إذا تحققت، تحققت معها الإنسانية العالمية.

فالأب متى المسكين لم يكن اهتمامه وانشغاله بالفرد والوعي الجزئي، بل بالمجتمع ككل والإنسانية بإجماعها. فكما يقول عنه الأستاذ الدكتور عاطف العراقي: «حاول الأب متى المسكين غرس الاتجاه الروحي والبعيد عن التعصب في نفوسنا وعقولنا ووجداننا، وما أحوجنا في هذه الأيام التي نعيشها إلى تلك الروح التي أخلص لها مفكرنا الأب متى المسكين»[146].

الأخلاق والديمقراطية

إذا كان الأب متى المسكين فيما سبق قد ربط بين الاشتراكية والاتجاه الخلقي، فإنه يتطرق إلى ما هو أعمق من ذلك، حينما يقرر أن الديمقراطية هي الهيكل الذي يشكل القاعدة الأخلاقية التي تقوم عليها الاشتراكية. ويعرض للديمقراطية وتأثيرها في الأخلاق العامة في النظم الاجتماعية السابقة، التي مرت بها البشرية على مر التاريخ.

والمرحلة الأولى التي يعرضها لنا الأب متَّى هي تلك المرحلة التي كان يسيطر فيها الدين والعقائد، ويشكلان فيها قاعدتها الأخلاقية الاجتماعية[147].

وقد بدأت هذه المرحلة، بظهور الديانات الكبرى أينما وُجدت، وانتهت بانتهاء العصور الوسطى، يقول الأب متى: «وكانت القاعدة الأخلاقية في المجتمع حينئذ ترتكز ارتكازًا أساسيًا على الدين والعقائد اللاهوتية، حين بلغ التعصب للدين وللعقيدة درجة جنونية، فكانت المذابح بالجملة... وقد وقع عبء هذه الحقبة على الأقليات والضعفاء من كل الأديان وفي جميع أنحاء الأرض»[148].

أما الحقبة الثانية فهي حقبة سيطرة العلم وقيام أصحاب العقل الحر بمحاولات طاغية لسحق الدين وقيادة المجتمع بصورة عقلية، وكان نتاج ذلك هو التصادم بين العقل والدين؛ وظهرت النظريات الإلحادية والمادية والتشكيك في القيم الروحية. ويرى الأب متى المسكين أن تصدُّر العقل وحده لقيادة المجتمع وتشبثه بالانفراد بتحديد القيم الأخلاقية انتهى بالفشل وبإثبات عجزه عن السمو بالقيم الأخلاقية[149].

أما المرحلة التي يراها الأب متى المسكين الأصلح، فهي مرحلة تقوم على إدراك أن «تآلف الدين مع العلم ضرورة حتمية لصالح الإنسانية، على أن يتخلى الدين عن التعصب الذي كان سببًا لنكبة الإنسان... في تجربة العصور الوسطى،

وعلى أن يتخلى العلم عن صراعه وصدامه مع الدين الذي كان سببًا هو أيضًا لنكبة الإيمان كما أثبتته تجربة العصر الحديث»[150].

ويقرر الأب متَّى أنه من واقع الخبرة السابقة يجب على المجتمع الجديد أن يستوعب الاختلاف، ويعايش الآخر من عقائد مختلفة، وفلسفات مختلفة، واتجاهات عقلية مختلفة، بشرط أن يسود السلام والتعاون لصالح المجتمع[151]. ويلتزم الجميع فيه «بالضرورة أن تكون لهم روح جماعية واحدة تقوم على تحرير الإنسان من... كل تحيز أو تعسف أو تعصب مهما كان مصدره... وهذه هي الديمقراطية في المفهوم الاجتماعي»[152].

وهذا المجتمع هو الذي يقوم على الديمقراطية التي يُعرِّفها الأب متى بأنها «صورة المجتمع الذي اختاره الإنسان نتيجة خبرة مؤلمة كلفت البشرية خسائر فادحة؛ لذلك أصبح التمسك والوفاء للديمقراطية أمرًا يستوجب منا شديد الالتفات».

ولكن هل هناك علاقة بين الأخلاق والديمقراطية، وهل هناك ما يسمى على حد قول الأب متى المسكين «الأخلاق الديمقراطية»؟ يبحث الأب متى المسكين في مفهوم الأخلاق الديمقراطية والذي ينصبُّ على المفهوم الاجتماعي، ويرى أن الأعمال التي يقوم بها الفرد لا تُعتبر كلها أعمالاً أخلاقية في المفهوم الاجتماعي، وإنما يلزم أن نحذف كل الأفعال التي تستهدف غايات شخصية مهما كانت قيمتها، فالأكل والشرب والراحة والنزهة والاعتناء بالصحة، على حد قول الأب متى المسكين، كلها أفعال لا تدخل في إطار ما يُسمَّى بالأخلاق الاجتماعية[153].

والديمقراطية عنده لا تتحقق إلا في إطار أو نظام يُعلي من شأن الجماعة، يقول: «إن الأفعال التي يأتيها الفرد، ولا يهدف فيها إلى نفسه، وإنما يهدف إلى منفعة غيره، لكي تكون أفعالاً ديمقراطية يلزم أن يكون لها صفة جماعية، ويكون الباعث عليها إحساس وتقدير للجماعة»[154].

وفي هذا المجتمع الديمقراطي (الاشتراكي) لو استطعنا القول، يلزم إسقاط كل الأفعال التي تستهدف غايات شخصية، مهما كانت قيمة الفعل؛ ومن ثَمَّ ، «فالأفعال التي يحكم عليها العرف الاجتماعي أنها أخلاقية هي التي تستهدف غايات غير ذاتية»(155).

والأفعال التي يحكم عليها العُرف الديمقراطي بأنها أخلاق اجتماعية، عند الأب متى المسكين، هي تلك التي تسمو في دوافعها على الإحساس الفردي، وتسمو في غاياتها على الانحصار في الأفراد؛ حيث إن الديمقراطية «تستلزم الشعور بالعمومية في تأدية الأعمال والواجبات التي يقوم بها الإنسان حتى نُعدَّها أعمالاً أخلاقية»(156).

فالمجتمع في العرف الديمقراطي ليس فقط مجموعة من الأفراد، ولكنه شخصية ذو كيان، يفكر، وينمو. وتلك الشخصية على حد قول الأب متَّى «كاملة في الوطن، ومُصغَّرة في الأسرة، واعية بالمدرسة، متهذِّبة بالدين، كادِحة في العمل، مُهيَّأة بالجيش».

إذن، فيما سبق نجد الأب متى المسكين يربط ويقيم علاقة وثيقة بين الديمقراطية والأخلاق الاجتماعية؛ فحين تصبح أخلاق الأفراد أخلاقًا اجتماعية سليمة شرطها الالتزام والمنفعة العامة، ينتج عنها مفهوم الأخلاق الديمقراطية، وبالتالي ينتج عنها مجتمع يسوده النظام والتكامل. فالأب متى المسكين في انشغاله وبحثه عن مفهوم الأخلاق في إطار الديمقراطية لا ينعزل في برج عاجي، بل ينطلق ويتخذ من الخبرات العامة للأفراد في المجتمع بداية لمعالجة قضية ومفهوم الأخلاق الديمقراطية.

هوامش الدراسة

(1)متَّى المسكين، الكنيسة والدولة (الطائفية والتعصب)، مطبعة دير القديس أنبا مقار، وادي النطرون، ط6، 2006، ص29.

(2) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(3)المرجع السابق، ص 30.

(4)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(5)المرجع السابق، ص31.

(6)المرجع السابق، ص32.

(7)المرجع السابق، ص33.

(8)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(9)المرجع السابق، ص35.

(10)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(11)أوغسطينُس، مدينة الله، المجلد الأول، الكتاب الخامس، ص253.

(12)متَّى المسكين، الكنيسة والدولة، مرجع سبق ذكره، ص35.

(13)المرجع السابق، ص36.

(14)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(15)المرجع السابق، ص 38.

(16)المرجع السابق، ص 37.

(17)المرجع السابق، ص36.

(18)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(19)عايدة نصيف أيوب، تجديد الفكر اللاهوتي الفلسفي، مكتبة الأنجلو المصرية، 2010، ص298.

(20)أوغسطينُس، مدينة الله، المجلد الثالث، الكتاب الثامن عشر، ص6.

(21)متَّى المسكين، الكنيسة والدولة، مرجع سبق ذكره، ص37.

(22)متَّى المسكين، ملكوت الله، ص72: 73.

(23) متى المسكين، الكنيسة والدولة، مرجع سبق ذكره، ص37.

(24)المرجع السابق، ص39.

(25)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(26)المرجع السابق، ص 20.

(27)متى المسكين، رسالة توعية، مطبعة دير القديس أنبا مقار، وادي النطرون، 1996، ص 24.

(28)متَّى المسكين، الكنيسة والدولة، مرجع سبق ذكره، ص39.

(29)عبد الرحمن بدوي، فلسفة العصور الوسطى، ص 19.

(30)متَّى المسكين، الكنيسة والدولة، مرجع سبق ذكره، ص40.

(31)متَّى المسكين، مقالات بين السياسة والدين، ص38.

(32)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(33)المرجع السابق، ص41.

(34)متَّى المسكين، الكنيسة والدولة، مرجع سبق ذكره، ص46.

(35)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(36)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(37)المرجع السابق، ص 42.

(38)المرجع السابق، ص43.

(39)المرجع السابق، ص44.

(40)متَّى المسكين، المسيحي في المجتمع، ص7.

(41)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(42)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(43)متَّى المسكين، الكنيسة والدولة، مرجع سبق ذكره، ص44.

(44)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(45)متَّى المسكين، المسيحي في المجتمع، مرجع سبق ذكره، ص7.

(46)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(47)متَّى المسكين، الكنيسة والدولة، مرجع سبق ذكره، ص46.

(48)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(49)متَّى المسكين، مقالات بين السياسة والدين، مرجع سبق ذكره، ص71.

(50)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(51) Wikipedia,The Free Encyclopedia,Socialism, Wikimedia Foundation. Inc, USA. (See too) Hans-Hermann Hoppe, A Theory of Socialism and Capitalism, Economics, Politics, and Ethics, Kluwer Academic Publishers. Second Printing, London, 1990, p4

(52)متَّى المسكين، مقالات بين السياسة والدين، مرجع سبق ذكره، ص 57.

(53)متَّى المسكين، المسيحي في المجتمع، ص 67.

(54)متَّى المسكين، مقالات بين السياسة والدين، مرجع سبق ذكره، ص67.

(55)المرجع السابق، ص57.

(56)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(57)المرجع السابق، ص57.

(58)المرجع السابق ص 58.

(59)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(60)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(61)المرجع السابق، ص 59.

(62)متَّى المسكين، الوحدة المسيحية في ضوء معنى الكنيسة وحقيقة المسيح، ص 19.

(63)متَّى المسكين، مقالات بين السياسة والدين، مرجع سبق ذكره، ص 59.

(64)المرجع السابق، ص 60.

(65)المرجع السابق، ص 60، 61.

(66)المرجع السابق، ص 59.

(67)المرجع السابق، ص 58.

(68)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(69)متَّى المسكين، الخلقة الجديدة للإنسان في الإيمان المسيحي، جـ 1، ص114.

(70)متَّى المسكين، مقالات بين السياسة والدين، مرجع سبق ذكره، ص59.

(71)متَّى المسكين، الألم، مجلة مرقس، العدد 498، مطبعة دير القديس أنبا مقار، وادي النطرون، نوفمبر 2008، ص 2، 3.

(72)المرجع السابق، ص 3.

(73)متَّى المسكين، مقالات بين السياسة والدين، مرجع سبق ذكره، ص59.

(74)المرجع السابق، ص60.

(75)متى المسكين، مقالة في الروح الوطنية، الحياة الرهبانية، مجلة مرقس، العد 476، مطبعة دير القديس أنبا مقار، وادي النطرون، سبتمبر 2006، ص 10: 11.

(76)متَّى المسكين، مقالات بين السياسة والدين، مرجع سبق ذكره، ص60.

(77)المرجع السابق، ص61.

(78)المرجع السابق ص60.

(79)متَّى المسكين، الوحدة المسيحية، ص22.

(80)متَّى المسكين، مقالات بين السياسة والدين، مرجع سبق ذكره، ص61.

(81)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(82)المرجع السابق، ص 59.

(83)المرجع السابق، ص 60: 61.

(84)متَّى المسكين، المسيحي في المجتمع، ص 6: 7.

(85)المرجع السابق، ص 6.

(86)متَّى المسكين، مقالات بين السياسة والدين، مرجع سبق ذكره، ص71.

(87)المرجع السابق، ص 62..

(88)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(89)المرجع السابق، ص63.

(90)متى المسكين، الحرية بالرؤية المسيحية، مجلة مرقس، دار مجلة مرقس، القاهرة، مارس 1967، ص2. (مقالة كتبت بمناسبة وجود بول سارتر بمصر)

(91)متَّى المسكين، مقالات بين السياسة والدين، مرجع سبق ذكره، ص63.

(92)المرجع السابق، ص 64.

(93)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(94)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(95)يحيى هويدي، دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، دار النهضة العربية، 1968، ص375 379، 385.

(96)متَّى المسكين، مقالات بين الدين والسياسة، مرجع سبق ذكره، ص65.

(97)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(98)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(99)المرجع السابق، ص66.

(100)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(101)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(102)زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، جـ 1، مكتبة مصر، القاهرة، 1968، ص30، 31.

(103)متَّى المسكين، مقالات بين الدين والسياسة، مرجع سبق ذكره، ص66.

(104)المرجع السابق، ص68.

(105)المرجع السابق، ص 69.

(106)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(107)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(108)يحيى هويدي، دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص92.

(109)ليود سبنسر، أندرزيجي كروز، عصر التنوير، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، 2005، ص 164.

(110)متَّى المسكين، مقالات بين السياسة والدين، مرجع سبق ذكره، ص79.

(111)المرجع السابق، ص80.

(112)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(113)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(114)محمد على أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي، الفلسفة اليونانية، دار الجامعات المصرية، 1974، ص87.

(115)المرجع السابق، ص138: 139.

(116)المرجع السابق، ص 259: 260.

(117)يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص 184: 185.

(118)يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص332: 348.

(119)المرجع السابق، ص 434.

(120)المرجع السابق، ص158.

(121)Branner, Emil, Man In Revolt, Wesminster Press, 1947, PP. 319: 321.

(122)الأب متَّى المسكين، مقالات بين السياسة والدين، مرجع سبق ذكره، ص70.

(123)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(124)Thomas, George, Christian Ethics and Moral philosophy, New York: Charles scribners sons, 1955. p. 165.

(125)متَّى المسكين، مقالات بين السياسة والدين، مرجع سبق ذكره، ص70.

(126)المرجع السابق، ص 72.

(127)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(128)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(129)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(130)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(131)المرجع السابق، ص81.

(132)جو كابوليو، لغز الإنسان: نظرة مسيحية بعيون افريقية، ترجمة وليم هارفي وثبفين سؤلي، دار الثقافة، ط1، القاهرة، 2007، ص37: 38.

(133)متَّى المسكين، مقالات بين السياسة والدين، مرجع سبق ذكره، ص80.

(134)متَّى المسكين، مقالات بين السياسة والدين، مرجع سبق ذكره، ص80.

(135)المرجع السابق، ص 82.

(136)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(137)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(138)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(139)المرجع السابق، ص84.

(140)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(141)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(142)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(143)متَّى المسكين، المسيحي في المجتمع، ص6.

(144)متَّى المسكين، المرجع السابق، ص86.

(145)متَّى المسكين، مقالات بين السياسة والدين، مرجع سبق ذكره، ص86: 87.

(146)عاطف العراقي، البحث عن المعقول في الثقافة العربية رؤية نقدية، ص309.

(147)متَّى المسكين، مقالات بين السياسة والدين، مرجع سبق ذكره، ص 75.

(148)المرجع السابق، الصفحة نفسها.وانظر أيضًا:

Southern. R.W, the plican History of church.2, Hazell wastan and viney limited Bucks (Great Britain) 1970, P.73

(149)متَّى المسكين، مقالات بين السياسة والدين، مرجع سبق ذكره، ص76.

(150)المرجع السابق، ص56.

(151)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(152)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(153)المرجع السابق، ص 76، 77.

(154)المرجع السابق، ص 76.

(155)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(156)المرجع السابق، الصفحة نفسها، ص 77.

قائمة المراجع

1- الأب متى المسكين، الكنيسة والدولة، مطبعة دير القديس أنبا مقار، وادي النطرون، ط1، 1963.

2- الأب متى المسكين، الحرية بالرؤية المسيحية، مجلة مرقس، دار مجلة مرقس، القاهرة، مارس 1967.

3- الأب متى المسكين، رسائل روحية، مطبعة دير القديس أنبا مقار، وادي النطرون، 1984.

4- الأب متى المسكين، غاية الحياة المسيحية، مطبعة دير القديس أنبا مقار، وادي النطرون، ط1، 1984.

5- الأب متى المسكين، الوحدة المسيحية في ضوء معنى الكنيسة وحقيقة المسيح، مطبعة دير القديس أنبا مقار، ط 3، 1985.

6- الأب متى المسكين، المسيحي في المجتمع، مطبعة دير القديس أنبا مقار، ط3، وادي النطرون، 1991.

7- الأب متى المسكين، الوحدة المسيحية، مطبعة دير القديس أنبا مقار، وادي النطرون، ط3، 1993.

8- الأب متى المسكين، رسالة توعية، مطبعة دير القديس أنبا مقار، وادي النطرون، ط1، 1996.

9- الأب متى المسكين، الخلقة الجديدة للإنسان في الإيمان المسيحي، ج 2، ط1، مطبعة دير القديس أنبا مقار، وادي النطرون، 2000.

10- الأب متى المسكين، الوحدة الحقيقية ستكون إلهامًا للعالم، مطبعة دير القديس أنبا مقار، ط4، 2002.

11- الأب متى المسكين، المسيحي في الأسرة، مطبعة دير القديس أنبا مقار، وادي النطرون، ط6، 2002.

12- الأب متى المسكين، رسالة الفكر المسيحي، الافتتاحية، دار مجلة مرقس، مطبعة دير القديس أنبا مقار القاهرة، العدد 474، 2006.

13- الأب متى المسكين، الخميرة الصغيرة، مجلة مرقس، مطبعة دير القديس أنبا مقار، وادي النطرون، سبتمبر 2006.

14- الأب متى المسكين، مقالة في الروح الوطنية، الحياة الرهبانية، مجلة مرقس، العدد 476، مطبعة دير القديس أنبا مقار، وادي النطرون، سبتمبر 2006.

15- أوغسطين، مدينة الله، نقله إلى العربية الخور أسقف يوحنا الحُلو، المجلد الثاني، الكتب (11 - 17) ، ط1، دار المشرق، بيروت، 2002.

16- أوغسطين، مدينة الله، نقله إلى العربية الخور أسقف يوحنا الحلو، المجلد الثالث، الكتب (18 - 22)، ط1، 2002.

17- أُغسطينوس، اعترافات القدِّيس أُغسطينوس، نقلها إلى العربية الخور يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، ط 7، 2003.

18- أوغوسطينوُس: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، ، ط7، دار المشرق، بيروت، 2004.

19- إمام عبد الفتاح، كيركيجور رائد الوجودية (فلسفته)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ج2، 1986.

20- أميرة حلمي مطر، الفلسفة عند اليونان، ، ج1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1986.

21- جو كابوليو، لغز الإنسان: نظرة مسيحية بعيون افريقية، ترجمة وليم هارفي وثبفين سؤلي، دار الثقافة، ط1، القاهرة، 2007.

22- زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، ج1، مكتبة مصر، القاهرة، 1968.

23- عاطف العراقي، البحث عن المعقول في الثقافة العربية، روية نقدية، مكتبة الثقافة الدينية، ط 1، 2004.

24- عايدة نصيف، يحيى بن عدي: حوار فلسفي وعقائدي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم الفلسفة، 2004.

25- عايدة نصيف أيوب، تأصيل الفكر الأرثوذكسي، المجلس الأعلى للثقافة، مطبعة دير الأنبا مقار، وأدى النطرون، 2010

26- عايدة نصيف أيوب، تجديد الفكر اللاهوتي الفلسفي، مكتبة الأنجلو المصرية،2010

27- عبد الرحمن بدوي، فلسفة العصور الوسطى، وكالة المطبوعات (الكويت) ودار القلم (بيروت)، ط3، 1979.

28- عزيز سور يال عطية، تاريخ المسيحية الشرقية، ترجمة إسحاق عبيد، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2005.

29- ليود سبنسر، أندرزيجي كروز، عصر التنوير، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، 2005.

30- يحيى هويدي، دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، دار النهضة العربية، 1968.

31- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1966.

32- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف بمصر، ط5، دون سنة نشر.

المراجع الأجنبية

33- Branner, Emil, Man In Revolt, Westminster Press, 1947.

34- Colins James, the mind of Kierkegoord, Chicago, Henry Regnery Company 1965.

35- Hans - Hermann Hoppe, A Theory of Socialism and Capitalism, Economics, Politics, and Ethics, Kluwer Academic Publishers. Second Printing, London, 1990.

36- Helen Boosalis, Christian Faith Facing Politics, In: The Greek Orthodox Theological Review, Vol. 37, No. 1,4.

37- Rathle, Christiane Ferrand, The Desert Militants: Change And Modernizing Factors In Coptic Monasticism, Master Thesis, The American University In Cairo, 1987.

38- Southern. R. W, the Plican History of Church. 2, Hazell Wastan and Viney limited Bucks(Great Britain) 1970.

39- Stephen J. Davis, Coptic Christology in Practice Incarnation and Divine Participation in Late Antique and Medieval Egypt, Oxford University Press Inc. , New York, 20086

40- Thomas, George, Christian Ethics and Moral Philosophy, New York: Charles Scribners sons, 1955.

41- Wikipedia, The free encyclopedia, Socialism, Wikimedia Foundation. Inc, USA.

42- William A. Hanna, Father Matthew the Poor , st. Macarius 154- Monastery ,2006.

43- Rubenson Samuel, Tradition And Renewal In Coptic Theology, In: Doorn. Hader. N. V & Vogt Kari(Editors), Between Desert And City: The Coptic Orthodox Church Today: Institute For Sammenlignenende. Kalturforskning Oslo(Norway), 1997. Time, December, 29. 1975.